رواية

ب

آدم بريسكو

جريمة في الجب

جنكو تمو

آدم بريسكو

(جريمة في الجب)

رواية

- جنكو صالح تـمُّو
- آدم بريسكو (جريمة في الجب)
- الطَّبعة الأولى 2024م

- حقوق الطَّبع محفوظة للمؤلِّف

- التَّدقيق اللُّغوي: د. بسَّام جميل

آدم بريسكو

(جريمة في الجب)

رواية

جنكو صالح تمّو

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلِّف

الطَّبعة الأولى

1446هـ - 2024م

لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات
أو نقله أو استنساخه بأيِّ شكل من الأشكال
من دون إذن خطِّيّ من المؤلِّف

الإهـــــداء

إِلى أَبي الَّذي كَانَ يُشَجِّعُني دَائِمًا.

❋ إذا كان المسدَّس القويُّ يرتدُّ إلى الخلف، فكيف أنا لا أرتدُّ إلى الخلف.

❋ كُلما أحتكُّ بالآخرين أزدادُ معرفةً بالمنافقين.

❋ عندما لا يوجدُ مَنْ يُدافع عنَّا يجب أن نُدافع عن أنفسنا.

جنكو تمو

مقدِّمة

القامشلي.

مواقع التواصل الاجتماعي.

24-1- 2020م.

تناقلت مواقع كثيرة خبراً مفاده أنَّ طفلاً قُتل بفعل فاعل، وإليكم التفاصيل:

مستجدات: (الطفل يوسف لُطفي أومباشي ذو الثلاث سنوات، والذي عُثر عليه اليوم مُتوفًى نتيجةَ جروحٍ بليغة في جسده، بعد أن فُقدَ في حي البخلاء مدة ثمانية أيام، وبحسب المعلومات الأولية فإن الطفل قُتل بِفعل فاعل، ولم تُعرَف هوية القاتل إلى الآن.

***　　　***　　　***

اليوم الأوَّل

فقَدَ هذا الرجل شغفه إزاء العمل الشاق الذي يؤديه أقرانه، ولم يعد يولي أدنى اهتمام لأي وظيفة تعودُ عليه بمنفعة مادية. وصار فكره مشغولاً بتصفح مواقع التواصل الاجتماعي، حيثُ يبدأ بها نهاره، واصلاً به ليله، والعكسُ صحيحٌ أيضاً؛ فتراهُ يبحث باستمرار في تلك الصفحات، لأجل الاطلاع على أخبار جرائم القتل والخطف والسرقات التي تحصل في المنطقة؛ وأصبح بذلك رجُلاً مهووساً، إلى أقصى حدٍّ، بهذه المسائل التي لا تنتهي عادةً من الحياة اليومية التي يعيشُها البشر، فقد شغلت حيزاً واسعاً من حياته.

كل إنسان له ماضيه وأسراره الخاصة به، ولكن يبدو أن ماضي هذا الرجل غريب ومُختلف عن ماضي الآخرين، فكثرة الجرائم التي ارتكبها قديماً، على اختلاف أنواعها، كالقتل، والسرقة، والاغتصاب، وتعاطي أنواع المُخدرات جميعها، والقيام بعمليات السطو المسلح في ريعان شبابه، تؤهله لأن يكون من أخطر المجرمين

في المنطقة بِرمتِها. فالماضي، إذاً، وصمة عار على جبين صاحبه لا يخفى على أحد، ويبقى كل تفصيل وعمل فيه معروفاً لدى الآخرين، على عكس السر الذي يظل مدفوناً في صدر صاحبه حتى الموت. وكيف انقلب صاحبنا من النقيض إلى النقيض، فهذا ما لم يعرفه أحد. فكلما تقدم العمر بهذا الرجل أصبح مُهتماً بِمُلاحقة الذين يرتكِبون هذه الجرائم، وتقديم الأدلة والإثباتات ضدهم إلى جهاز العدالة لتأخُذ مجراها النهائي بحقِّهم، ثُم إيداعهم السجون المختلفة، والتي تقوم بإعادة تدوير تلك النفايات البشرية وتأهيلها من جديد كي تعودَ صالحة للاستعمال، وتستقيم مرةً أخرى لِتعاود حياتها الطبيعية بِشكل سوي في المجتمع الذي تعيشُ فيه، وتشارك الحياة مع سائر الناس الطبيعيين جنباً إلى جنب.

نهض الرجل تاركاً هاتفه الجوال على طاولةٍ صغيرة في غرفة نومه بجانب سريرٍ فردي، وكانت الساعة الجدارية التي تُصدر صوت التكتكة تُشير عقاربُها إلى حلول منتصف الليل، فتوجه إلى الحمام لقضاء حاجته، وعند خروجه نظر شارداً إلى المرآة المعلقة أمامه

فوجد أن عينيه مُحمرتان من شدة تجمع الدم في عروقها الكثيرة، فلم يأبه لهما، ولم يهتم لشيء سوى مُتابعة أخبار الجرائم في تلك الليلة، ثم وقف، وأكمل سيره، ودلف المطبخ لأنه كان يتضور جوعاً وكانت معدته الخاوية تضغطُ عليه. يدفعه إلى ذلك مُنبِهٌ داخلي يهتفُ له على الدوام، فقام بوضع قليل من مربى الكرز وبعض الزبدة على نصف رغيف غير محمص، وبدأ بتشغيل الغلاية الكهربائية من أجل تحضير كوب من الشاي الثقيل، ليحتسيها مع وجبة العشاء الخفيفة، ثم تناول وجبته على طاولة المطبخ، وظل ذهنه مشغولاً بأخبار هاتفه الجوال الذي تركه في غرفة نومه، وعاد الرجل القصير ذو العيون الصغيرة والوجه الطويل إلى مُتابعة عمله، وتابع تصفُّح مواقع التواصل الاجتماعي؛ فبرقت عيناه فجأةً بِلمعة اشتياقٍ غريبة، عندما وجد هذا الخبر الطازج يلوحُ أمام عينيه المُحمرتين من كثرة السهر المتواصل وأشعة الهاتف الجوال، والخبر يقول:

القامشلي- مواقع التواصل الاجتماعي 24-1-2020.

تدعي بأن طفلاً اختفى اليوم وإليكم التفاصيل:

(لقد اختفى صباحَ اليوم الطفل يوسف لطفي أومباشي ذو الثلاث سنوات في حي البخلاء، وهو من ذوي الاحتياجات الخاصة، ولم يعثر أهله عليه حتى الآن).

لقد ترك هذا الرجل عاداته السيئة كلها، إلا عادة واحدة، ظلت ملتصقة به كقَدَريَّة جِلده الذي لا يمكن نزعهُ حتى نهاية العمر. فكل خبر جديد أو جريمة جديدة لديه، كانت تقابلها سيجارة حشيش، وكانت ذاكرته تخونه ربما بسبب تقدمه في السن أو ربما قد تكون بسبب تعاطيه مادة الحشيش منذ زمن بعيد، ولكن كُل ذلك لم يمنعه من أن يرى بعين الحالم تلك الحادثة القديمة التي جرت معه، عندما كان يمتهِنُ الإجرام عملاً وسبيلاً له. فصور زوجته الشابة الآن تداهمه في إقبالٍ موجع، والتي قُتِلتْ بإحدى رصاصات عناصر الشرطة حين كان يتبادل إطلاق النار مع عناصر الدورية، التي جاءت خصيصاً لِمُداهمة البيت واعتقاله، فماتت الزوجة وأسلمت روحها إلى بارئها في الحال، وبالنسبة إليه فقد أصاب اثنين من عناصر الدورية، ولكن إصاباتهما كانت طفيفة جداً، وكان في إمكانه أن

يقتلهم جميعاً، إلا أنه لم يفعل ذلك عمداً، لأنه كان يحفظ قوانين المحاكمات جيداً، ويعرف أن عقوبة قتل رجل الأمن عند أداء مهمته قد تصل إلى حد الإعدام، ولذلك كان يكتفي بإصابتهم فقط إصابة طفيفة، لأنه كان بارعاً جداً في استخدام المسدس، وتصويبه بدقة متناهية نحو الهدف. فخرج الرجل ذو العيون الصغيرة الحادة من عملية المداهمة تلك مُعتقلاً فقط لم يصبه خدش واحد، وكأنه حلت فيه رُوحُ قطٍ بِسبع أرواح.

وبينما كان مُمدداً على سرير غرفة نومه المفرد وهو يشرب الحشيش كانت تلك الأحداث تمر بِذهنه كشريط فلم سينمائي قصير ومؤثر جداً في نفسية مُشاهده، ومنذ ذلك الحين قرر ألا يتزوج ثانية، وأن يعيش وحيداً وفياً وفاء الكلب لصاحبه، ومُخْلِصاً لذكرى وفاة زوجته التي كانت تعشقه وتحبه إلى حد الجنون، وقد ساعدته هذه الذكريات الآن أن يتذكر ذلك المحامي الذي يمتُّ بِصلة قرابة إلى زوجته المُتوفاة، والذي يعمل أيضاً في إماطة اللثام عن مُرتكبي الجرائم وملاحقتِهم بوصفه تحرياً مستقلاً عن جهاز الشرطة

والسلطات الأمنية وتحقيقاتها في هذه القضايا ذات الأحداث الساخنة. وقبل أن يُثقل النعاس سُلطانه على أجفانه المرهقة بدأ يدون تفاصيل اختفاء الطفل يوسف في دفتر جيبه الصغير، وبدا مرتاحاً لأنه وجد صديقاً ذكياً يساعده في مهمة البحث عن المختفي، ثم غرق في سبات عميق.

*** *** ***

إن برودة طقس منتصف شهر كانون الثاني لم تمنع المحامي العاطل عن العمل من أن يستيقظ باكِراً، وكان يعيش في غرفة مفردة على سطح إحدى البنايات التي شُيدت حديثاً على طريق الحزام الغربي، فهو بِعمر الخامسة والثلاثين تقريباً، قوي البنية، عريض الكتفين، طويل القامة، أصلع الشعر، ولكن صلعته قد زادته وسامة وجمالاً، وكان رقيق المشاعر هادئ الطباع لا يثور أبداً، ويحب جميع الأشياء، ولكنه يخافُ من شيء واحد وهو الجنس اللطيف، وكان يحسب لهنَّ ألفَ حِساب، ثم خرج من غرفته فوق سطح البناء العالي يتفحصُ الأحوال الجوية في ذلك اليوم. وقد نظر فوقه إلى السماء

الرمادية الداكنة التي تعلوهُ، فبدت له تلك الغيوم الكثيفة تجري بسرعة هائلة كقطعانِ الماشية ذات الصوف الكثيف وهي تزاحم بعضها على شربة ماء بعد عطشٍ قد نالها لساعات طويلة في تلك المراعي البعيدة، وعندما أطلق المحامي العَنان لبصره أن يتجول بعيداً لم ير الماشية، ولم يكن في إمكانه أن يرى أبعد من أرنبة أنفه لأن الأشياء جميعها قد غرقت في بحرٍ من الضباب المعتم نتيجة كثافة الغيوم الهائلة التي كانت تسبحُ في ذلك الفضاء الشاسع، وكان المكان الذي يُقيم فيه ذلك المحامي العاطل عن العمل، حيثُ يُقابله من جهة الشرق بناء المستوصف يكاد يكون أقرب إلى بناء مُتهالك وقديم، وكان ذا طابق واحد أرضي يُحيط به فِناء من الجهات جميعها، وشكلها إجمالاً كان يُشعره بالكآبة واليأس، ومن جهة الغرب كان مكانه بِحذاءِ تلة عالية جداً، وأكثر البيوت فيها من الطين، وكذلك أغلب الشوارع فيه أزقة ضيقة.

ذات مرة كان المحامي، وهو فتى يافع، في حي الهلالية، وهو حي أغلب قاطنيه من طبقة من الفقراء تكادُ تكونُ معدمة، ولكنهم

طيبون وكرماء مع الضيوف والغرباء، ونسبة الجريمة فيها نادرة جداً، ولكن لا يخلو الأمر من ذلك، فلو خلت لأصبحت جنة بدلاً من مدينة. ويُعدُّ حي الهلالية من ناحية الموقع أعلى منطقة في مدينة القامشلي كُلها، وإذا ما وجد الاهتمام به من ناحية الإعمار والتخطيط لكان أروع وأجمل حي بين الأحياء الأخرى، بِلا مُنافس، ومن جهة الشمال تمتد مدينة نصيبين ومن خلفها سلسلة جبال طوروس الطويلة، ومن ناحية الجنوب يقع دوار المناضل أوصمان صبري، وبينما كان يمشي هناك، وإذ به يجد نفسه واقفاً على سطح أحد بيوت فأقفل عائداً إلى غرفته، وكان يعيشُ وحيداً عازفاً عن الزواج، فقد أصابه داءٌ غريب لم يجتح المنطقة بعد، ألا وهو داء الحب الالكتروني. بالطبع هذه نقطة غامضة بحاجة إلى الشرح وبعض التوضيح، فالبعض سيظنون أن الرجل وقع في حب جهاز التلفاز أو جهاز المحمول أو مُضخمات صوتية. كلا، إن حُبه كان حُباً خاصاً، عندما كان يشاهد نشرات البرامج الإخبارية مع عائلته، فكانت هناك مُذيعة تقدِّم نشرة الأخبار بتوقيت الساعة الثامنة مساءً، فوقع الشابُ الغر

سريعاً بحب المذيعة، تلك الغادة الفاتنة بالفعل كانت آية من آيات الجمال التي تعجز الكلمات عن وصف جمالها الآخّاذ. فزادت الأيام ذلك الشاب عشقاً وهُياماً بِها، وما كانت تفوته نشرة أخبارٍ واحدة، والتي كان يكرهها جداً، لأنه كان يعرف أغلبها كذبٌ وتضليل، إن لم تكن جميعها، ولكن تسمُّرَه الدائم أمام الشاشة ومشاهدته المستمرة كان سببها الحقيقي ذلك الحب الجارف نحو مُذيعة القناة، الغادة الحسناء. فظل حبه لها مُشتعلاً لا يفتر دام نحو أكثر من عشر سنوات على الأقل، وفي الفترات التي كانت المُذيعة تغيب عن الشاشة، لأسباب عائلية أو ظروفٍ صحية، وأحياناً قد تستغرق في غيابها شهراً أو أكثر من شهر. فيظل العاشق الالكتروني مريضاً، قلقاً، متوتراً، عصبياً. بسبب طول غيابها عنه، وعلى هذا المنوال تطورت حالته المرضية، ومع تقدمه بالسن أصبحت عادة مزمنة ملازمة له. فيمكن أن تبقى معه حتى آخر العمر، إذا لم يجد من يداويه أو يُعالجه بالشكل الصحيح حتى ينتهي من أزمته تلك، وقد مرَّت فترة عليه فتر حُبه للمذيعة الحسناء فتركها وترك حُب تلك الأيام الطويلة

وعذابها إلى غير رجعة، وبدأ بعدها الوقوع في حُب مُمثلة، ثُم تبِعها بمُطربة وعلى هذا المنوال تابع سلسلة الغراميات التي لا تنتهي من خلال التواصل مع الشاشة الالكترونية، أو ما يُسمى بالحب الالكتروني البحت، وكان الكثير من الذين عاشروه، أو عرفوه باتوا يعلمون بِسره هذا، وكانوا يوقِنون أيضاً أنه من الصنف الجبان الذي يخاف ويفزع بإقامة علاقة عاطفية مع أُنثى حقيقة، وعندما كان المحامي يسمع خلافاً أو انشقاقاً قد وقع بين زوجين بالدائرة التي تُحيطهُ، ووقع الطلاق بينهما فكان يزداد رعباً وهلعاً بسبب ذلك فتتسع الهوة بينه وبين النساء، وكانت جدران غرفة الصفيح من الداخل تمتلئ بصور الممثلات والمطربات، ما بين وجوه جديدة وقديمة، وعُلِقت بصدر الغرفة صورة لرجل يدفع العربة وعليها كومة من الكتب، وبجانب الرجل الذي يدفع العربة اليدوية ولدٌ صغير، وكان ذلك الولد هو المحامي والرجل كان أبوه الذي يمتهن بيع الكتب بالتجوال، وهو نوع من أنواع البيع الأسرع للكسب المادي، إن ملكية العربة عائدة بالأصل إلى جد المحامي من ناحية أمه،

والذي كان يبيع الخضار عليها لزمن طويل، ربما امتد عقدين أو أكثر، وقبل وفاة الجد أكد في وصيته أن عربته ستصبح ملكاً لحفيده الصغير، ومع انتقالها إليه انتقلت ملكيتها إلى بائع الكتب، وفي وقت جولات البائع مع ابنه كان يدور بينهما نِقاش طويل فيسأل الصغير أباه:

- ما الذي جعلك تحب مهنة البائع الجوال للكتب يا أبي؟

- كان أبي يُحب الكُتب.

- أما كان من الأفضل لك أن تفتح مكتبة بدلاً من التجوُّل.

- يا بُني لسهولة البيع والكسب السريع، وأخيراً دعني أقولُ لك أجدُ متعتي في التجوُّل.

- ولكني أرى التعب والإرهاق دائماً على وجهك؟

- قلت لك لا يهم طالما وجدتُ سعادتي في ذلك العمل.

غرق الاثنان في صمتٍ عميق؛ فحاول الأب أن يكسره، ثُم سأل ابنه الصغير:

- ألا تُحب أن تستلم مني العربة؟

- لا.

- لماذا؟

- لأنني لا أُحب مهنة بيع الكتب.

بدا الأب مذهولاً بإجابة ابنه الصغير، والذي كان يساعده بدفع العربة في أغلب الأوقات، ثُم سأل ابنه الصغير:

- ما ذا تُحب أن تصبح في المستقبل؟

- لماذا؟

- أطلبُ منك أن تكون كاتباً.

- أبي مهنة الكتابة لا تُطعم.

- ولكن برأيك ما الذي يُطعم؟

أجاب الولد:

- مهنة المحاماة.

- إذن بالتوفيق يا بُني.

- شُكراً يا أبي.

ربت الأب بكفه الدبقة من كثرة العرق، الذي يفرزهُ جسمه جراء مسكه قبضتي العربة، على رأس ابنه الصغير؛ فقال له:

-جمعتُ لك مالاً لا بأس به.

وأضاف:

- إن لم تكن نافعاً بِمهنة المُحاماة، فإن هذا المال يكفلُ متابعة حياتك لفترة على الأقل.

وظل الصغير مُطرق الرأس لم يجب أباه، وبعد مُضي الزمن بسرعة البرق. بات كبيراً وأصبح محامياً يترافع للدفاع عن القضايا المختلفة، وفتح مكتباً خاصاً بوسط البلد. بعد أن تدرب على يد محامٍ قدير له سمعة حسنة وشهرة واسعة، ولكن شاء القدر أن يفشل المحامي بعدة قضايا مهمة قام بالدفاع عن المتهمين، ولكنه خسِرَ كل القضايا التي ترافع عنها في المحكمة أمام القاضي، وتم الاعتداء عليه ظلماً من قِبل أهالي المتهمين، وبذلك ترك المهنة واستقال من نقابة

المحامين. فأصبح عاطلاً عن العمل، ثم فكر بعد أن أُغلق في وجهه مصدر رزقه الوحيد، أن يعمل متحرياً مستقلاً بِلا أجر، للكشف عن الجرائم التي تحدث في كل يوم، ثم طبع اسمه وعنوانه ورقمه على كروت صغيرة، ووزعه على أصدِقائه وأقربائه مُترحِماً على أبيه:

-رحمة الله عليك يا أبي.

وأضاف:

-لن أنسى كلامك وأنا صغير، وأنت تدفع العربة، لقد أنقذتني بفضل هذا المال الذي جمعته لي بكدك وعرق جبينك.

ثم أكمل:

-لأنني لا أنفع لشيء حتى هذه اللحظة، ولكن لا نعرف القادم من الأيام وما يُخبئه لنا القدر.

& & & & &

اليوم الثاني

استيقظ الرجل؟؟؟ من نومه نشيطاً، وأول ما فعله اتصل بالمحامي في ذلك الصباح الباكر:

- ألو.

-مرحباً.

-من المتصل؟

- معك عليش بلعون.

- أليس معي على الخط المحامي القدير آدم بريسكو؟

- نعم هو بشحمه ولحمه.

- كيف حالُك يا سيدي؟

- بِخير.

وقام المتصِلُ بِكشف تفاصيل هويته فقال له:

- أنا زوج قريبتك المرحومة هند.

- نعم. تذكرتُك.

ثُم أضاف المحامي:

- وكيف حالُك؟

- بِخير والحمد لله.

- ماذا تُريد؟

- أُريدُ مُقابلتك.

- مُقابلتي أنا.

- طبعاً.

- هل الأمرُ مهم لهذه الدرجة؟

- نعم. بِغاية الأهمية.

فأكد المحامي آدم بريسكو عليه بإصرار:

- ألا يمكن أن تُحدثني الآن عن هذا الأمر المهم.

- لا. لا يُمكن يا سيدي.

فقال له المحامي:

- ما الحل إذن يا عليش؟

- الحل الوحيد يجب أن نلتقي.

- متى؟ وأين؟

فقال بلعون:

-اليوم.

ثُم أضاف:

-والمكان هو حانة الضفادع المُموهة بِدوار المطار.

انتهى الاتصال. وكان اللِقاء بحانة الضفادع المُموهة أخيراً.

*** *** ***

كان عليش بلعون جالساً على مائدة، يُدخن سيجارة من التبغ الملفوف، ولكن لم تكُن ملغومة بِمادة الحشيش، فشُرْب الحشيش عنده له طقس مُعين، ثُم نظر إلى ساعة يده التي كانت تُشير إلى العاشرة

صباحاً. ولم يظهر النجم اللامع المحامي المستقل آدم بريسكو التحري الجديد، ثُم التفت إلى طاولة الساقي ووجد مكانه فارِغاً، ولا أحد يشغل مكانه، وكان الساقي مُصاباً بداء السكري الذي لا بُرء منه. يذهب من حين إلى آخر إلى دورة المياه في آخر المحل بِجانب المكان الذي يؤجره للزبائن، وكان هناك شيء آخر لفت انتباهه، حيثُ وجد المكان غارِقاً في قذارةٍ شديدة لا يمكن أن يتصورها العقلُ البشري. كانت جميع الطاولات تعلوها طبقة سميكة من الوسخ الأسود، ولا يوجد كرسيٌّ واحد إلا وتجد فيه كسراً أو خلعاً، وحتى زُجاج النوافذ كان يُغطيها الغبار كأنها سِتار قديم يُسدل عليها، فيستحيل أن ترى ما يجري بالشارع، ولا يمكن ملاحظة المارة بالرغم من كثرة السيارات التي تمر من هناك، ولكن سرعان ما ظهر شخص آخر ألقى عليه التحية، وجلس على الطاولة المجاورة له. كان نحيفاً، ذا أنف معقوف وذقن حاد إجمالاً، وكان يتَّصِفُ باللطف والرقة، ثم دلف بعده اثنان آخران وجلسا على طاولة أخرى، فظل فكر بلعون مشغولاً بالمكان، أنساه تأخر وصول المحامي بالموعد المُناسب؛ فلف

سيجارة ثانية، ونظر إلى ساعة يده مُجدداً فوجدها قد بلغت العاشرة والنصف. فأدار رأسه نحو باب المدخل وتطلع قلِقاً، ثُم رأى الرجل الذي كان ينتظره، وهو أصلع الشعر طويل القامة، يحمل تحت إبطه حقيبة جلدية، وسُرَّ سروراً عظيماً عندما رآه وعرفه، وهبَّ واقفاً، ثُم تقدم نحوه مُسرِعاً ترحيباً به، واحتضنه فاختفى بلعون بين ذِراعي المحامي كأنه طفل صغير من شدة ضخامته وحجمه الكبير، فقال له بلعون:

-شعرُك لا يُمثل مشكلة لك.

وأضاف:

-فصلعتُك هذه أراها قد زادتك وسامةً وجمالاً.

همس المحامي:

-أما أنت فقد تقدَّم بِك السن يا صاحبي.

لم يدم ذلك الحال بِهُما كثيراً، فجلسا إلى طاوِلتهما التي كان عليش بلعون جالساً عليها من قبل، ثُم وضع المحامي حقيبته اليدوية عليها واستراح بِظهره يُطقطق بأصابعه؛ فقال المحامي:

-لقد شوقتني يا رجل، ماذا لديك؟

أجابه بلعون:

- فيمَ العجلة؟

- كما تشاء.

- ماذا تشرب؟

- بيرا مكسيكي.

- وأنا أيضاً.

أشار عليش بلعون إلى الساقي؛ فهرع على الفور بتحضير الشراب الذي طلبوه، فقال المحامي بريسكو:

-لنعد إلى موضوعنا.

وقبل أن يتحدث بلعون، سمع مع صاحبه حديث الشخصين اللذين دخلا معاً قبل نصف ساعة، وكانا يتحدثان بصوت عالٍ في شأن موضوع اختفاء الطفل الصغير صباح البارحة. وفهم أنه أصبح حديث الساعة، والشغل الشاغل لأهل الحي، وقد استوعب المحامي الخطوط العريضة لِتلك القضية، ولكنه بِحاجة إلى تفاصيل أكثر وضوحاً من الرجل الذي يُشاركه المائدة، وأيقن أن تلك الأحداث كلها قد وقعت في الأمس، وحسب جردة سريعة في عقله، إذن إنه اليوم الثاني من عملية الاختفاء.

أجابه بلعون:

-موضوعنا حول ضياع طفل صغير منذُ البارحة.

-ما المطلوب مني؟

-أن تمد يد المساعدة لي في العثور عليه حياً أو ميتاً.

-أفهمُ منك بسبب القرابة التي تربط بيننا، أم تراها بِسبب كروت العمل التي وزعتها في هذا الشأن؟

-يمكنك أن تعدها للسببين معاً.

ضحك المحامي بريسكو، فسأله:

-هل أصفك صعب المراس، أم لين العريكة؟

- اختر الصفةَ التي تُعجِبك.

-هكذا إذن.

لقد تقبل الرجُلان بعضهما، وسرعان ما ظهرت بوادر التفاهم والاتفاق بينهما؛ فأخذ بريسكو يُذكّرهُ بِعادة سجائر اللف وكيفية لغمها بالحشيش، وما يلبث السيد بلعون يُذكرهُ في شأن نِساء الحُب الالكتروني، وأثناء ذلك أحضر الساقي كأسين من البيرا المكسيكي ووضعهما أمام الرجلين، فقال المحامي بريسكو للساقي:

-أمن الممكن أن تمدَّنا بِبعض الأخبار في شأن اختفاء الطفل؟

-اعذرني يا سيد، ليس لدي ما أمدُّك به من معلومات، لأنني صراحة أصم أذني عن كمية الثرثرة التي يُلقِي بِها الزبائن يومياً، فأنا لستُ فضولياً؟

أخرجَ بلعون عملة من فئة الدولار الواحد، ووضعها بيد الساقي.

-تفضل.

شكره الساقي، وانصرف.

ما إن رأى المحامي مُضيفه يُسلم ذلك البقشيش إلى الساقي، غلبه فضولٌ شديد، فسأله:

-أمن أجل المال تريد أن تبحث عن الطفل المفقود؟

-لا حاجة لي بالمال.

- إذن من أجل أن تُكفِّر عن ذنوب الماضي؟

- ربَّما فيه شيء من هذا.

صمت الاثنان.

ثُم سأل بلعون المحامي:

-وأنت هل تطلب مالاً؟

-لا.

أجابه بلعون:

-دعني أقول لك يا سيد بريسكو، إنه يجمعُنا هدفٌ سامٍ، وهو العمل بِلا أجر.

- بالضبط.

وأضاف المحامي بريسكو تعليقاً في شان هوس المال الذي يشغل العالم كُله:

-اسمع. الدول الرأسمالية تسعى جاهدة لتضع معظم أموالها بِخدمة التسليح.

وأضاف المحامي:

-أما الأفراد يفنون حياتهم بِصناعة المليارات، والاثنان لا يهدفان بِسعيهما هذا إلى إطعام الفُقراء، وإنما غايتهما الوحيدة خدمة مصالحهما ولا شيء سوى ذلك.

ثُم أكمل المحامي:

-فأنا وأنت عاهتان. فقد جمعنا هدف واحد وغاية مُشتركة. أن نضع جُهدنا ومالنا لِمساعدة المحتاجين من الناس وخدمة مجتمعنا، وتوقع أن ينضم كثير من الناس إلى صفوفنا في أية لحظة.

توقفٌ عن الحديث.

سحب الرجل النحيف ذو الأنف المعقوف، والذقن الحاد بِجوار طاوِلتهما كرسيه وانضم إليهم مُعلناً:

-أود أن أنضم إلى فريقكم.

ردَّ عليه بلعون مُتجهماً:

-بأي حق يا سيد تقتحم علينا جلستنا، وتفرض نفسك علينا دون استئذان.

فقال آدم بريسكو مُعترضاً:

-دعنا نسمع وجهة نظره يا بلعون.

أجابه الرجل النحيف:

-نعم. لقد سمعتُ كل ما دار بينكم من حديث، فأنا أيضاً عندي استعداد أن أُساعِدكُما في عملية البحث هذه، لأنني أشعر دائماً بالفراغ والملل، ولا أجِدُ معنًى لِحياتي الروتينية.

سأله المحامي:

-ماذا تملك لتقوم بِمُساعدتنا؟

-لدي المال والسيارة.

نظر كُلٌّ من بلعون وبريسكو إلى بعضهُما بِطرفٍ خفي من العين، وأعلن بلعون:

- لقد قبلناك.

- شكراً لكُما على لُطفكما وحسن استقبالكما.

إن هذين الرجلين كانا يتحدثان قبل قليل، وكان واحد منهما يتنبأ بانضمام أي شخص إليهم في أية لحظة وقد تحققت النبوءة. لقد اكتمل فريق العمل وكانت تنقصهم وسيلة النقل، فاكتملت بِوجود السيارة والسائق.

سأله المحامي:

- ما نوع السيارة التي تملكها؟

-جيب موهافي حديث.

-ما هو لونها؟

- أسود.

- هذا اللون الذي أُفضله.

سرعان ما تآلف الرجال الثلاثة: آدم بريسكو، ومساعداه عليش بلعون الممول، وسائق السيارة مهران عبده.

فقال المحامي:

-حان الآن وقت أداء القسم، قبل أن نبدأ بِخطة العمل، التي سنسير عليها منذُ هذه اللحظة.

سأله السائق عبده العضو الجديد بِفريق التحقيق المستقل:

-أيُ قَسمٍ هذا.

-عندما نبحث عن الولد الصغير يجب ألا نُفشي الأسرار والمعلومات التي نحصل عليها مهما كانت الأسباب.

فقال مهران عبده:

-أنا موافق.

وأجابه بلعون:

-وأنا أيضاً موافق.

فقال المحامي:

- موافِقان.

أجابه الاثنان:

- موافِقان.

ابتسم المحامي آدم بريسكو، ورد عليهما:

-بقيادة محامٍ فاشل سابقاً، ومُحقق في أول عمل له من أعمال الشارع المستقلة لا يبحث عن المال والشهرة، ومُصاب بداء الحب الالكتروني.

أجابه عليش بلعون المساعد الأول:

-شيء عادي، انظر إليَّ، كنتُ مُجرِماً في السابق، ولكنني الآن كما ترى رجل سوي أُحبُ دائماً تقديم المساعدة للذين هم في حاجة إلى ذلك.

وسأل بلعون المساعد الثاني بِمجوعة التحقيق مهران عبده:

-ماذا عنك؟

-كان عملي هو مُطاردة النِساء الجميلات.

-والآن؟

-لا.

وأضاف عبده:

-ولستُ في حاجة إلى المال، فلديَّ الكثير منه، وأريدُ أن أُقدم خدمات مجانية للآخرين دون مُقابل، وليس لديَّ أي طمع أو أي شيء آخر كما قُلتُ لكم.

ردَّ بريسكو:

-إذن نحنُ فريق عمل مُتكامل هدفنا واحد، أن نُساعد الآخرين، لا طمعاً بالمال ولا بالشُهرة.

ثُم أضاف:

-فلنبدأ بالعمل يا رفاق.

أدخل المساعد الأول بلعون يده في جيب معطفه الداخلي وأخرج دفتراً صغيراً، ووضعه أمامهم على الطاولة، فقال:

-هنا دونت بعض المعلومات التي تتعلق بالطفل الضائع، وفيها اسمه، وعمره، ومرضه، وتاريخ اختفائه.

بالمُزامنة قام المحامي آدم بريسكو. بِفتح سحاب حقيبة يدوية، وأخرج منها حزمة من الأوراق وبدأ ينقلُ تلك المعلومات من دفتر

جيب المساعد الأول إلى حزمة الأوراق تلك، ثُم قام بِسحب ورقة أخرى من بين أوراق المجموعة، ورسم عليها ثلاث دوائر مُتداخِلة تبدأ بالصغيرة ثُم الوسطى وتنتهي بالكبيرة. فكان المُساعِدان ينظران بِدهشة وذهول إلى مُخطط رئيسهم الجديد. فسأله عليش بلعون على الفور:

-ما هذه الدوائر الثلاث؟

-مُخطط البحث والتقصي.

فقال السائق مهران عبده:

-أمن الممكن أن تشرح لنا معنى الدوائر الثلاث المتداخلة؟

-طبعاً.

وأضاف بريسكو، وهو يشرح:

-الدائرة الأولى هي المركز، يمكننا اعتبارها منزل الولد والحي الذي اختفى منه، أما بالنسبة للدائرة الثانية هي بمنزلة تمثيل باقي المناطق والأحياء الأخرى فيها. أما فيما يتعلق بالدائرة الكبيرة

والأخيرة بِمُخططنا فهي تشمل تلك المناطق البعيدة خارج حدود المدينة. هل الفكرة واضحة الآن؟

أجابه بِتلهف المساعد الثاني بالفريق مهران عبده:

-أكادُ أجزم إنه مُخطط فذ للبحث.

وأكَّد المساعِدُ الأول بلعون قائلاً:

-لدي إحساس قوي أننا سننجح بِمُهمتنا بِفضل هذه الخطة الرائعة.

ردَّ عليهما آدم بريسكو وهو مُتشائم:

-لا تتفاءلوا كثيراً، لم نبدأ بعد، وعداد العمل ما زال على الرقم صفر، والعملُ أمامنا شاقٌ وطويل أليس كذلك؟

أجابه المُساعد الثاني مهران عبده:

-لستُ معك يا سيدي المحامي، هُناك مقولة تقول:

- تفاءلوا بالخير تجدوه.

فقال عليش مُقاطعاً الحديث:

-أحسنت يا عبده.

وأضاف أيضاً:

-هيا بنا، حان وقت البحث عن الولد الضائع.

فقام المساعدان على الفور وتأهبا للخروج، وظل المحامي آدم بريسكو جالساً في مكانه كأنه لم يسمع شيئاً بِما قرره مُساعداه العزم عليه. فوجدوه قد هم بِكتابة مُلاحظة، حتى سأله بلعون:

-ماذا تكتب يا بريسكو؟

-هناك مُعضلة كبيرة.

- مُعضلة.

- نعم.

- ما هي؟

- يلزمنا صورة شخصية للطفل المختفي من إحدى الجرائد لِتكون بمنزلة وثيقة رسمية معنا.

عاد الرجلان الواقفان فوق رأسه إلى مكانهما السابق، فقال بلعون:

-لقد صدق المحامي بريسكو في شأن مسألة عدم التفاؤُل منذ البداية. فلم نتحرك بعد حتى اعترضتنا عقبة في أول الطريق.

وكان بريسكو غارقاً في تفكيرٍ عميق، ولم يتحدث، فقال فجأةً:

- يلزمنا جريدة قامشلي جليد لهذا الصباح، والآن.

سأل المساعد الأول مشدوهاً:

-الآن؟

أجاب بدلاً منه المساعد الثاني السائق على الفور:

-عندي.

-عندك.

-نعم.

-أين؟

-بالسيارة.

وتدخل المحامي آدم بريسكو مُقاطعاً، فقال:

-أنا متأكد أن صورة الطفل نزلت بِجريدة اليوم، ونحن بِحاجة ماسة إلى إحدى النسخ منها الآن؛ لنبدأ البحث، فبِدون الصورة لا يمكننا أن نبدأ عملية البحث، ولو ذهبنا إلى مكانٍ ما وسألنا عنه دون أن نريهم الصورة، فكيف سيتعرفون عليه؟

صرخ السائق مهران عبده فرِحاً وقال:

-عندي نسخة منها في السيارة. لقد اشتريتُها من المكتبة وأنا قادِمٌ إلى هنا.

وأخيراً بعد أن ظفروا بالصورة قالوا معاً لنبدأ البحث بالدائرة الكُبرى. لا يمكن لهذه الجماعة إهدار ولو جزء بسيط من وقتِهم على

الأشياء التافهة. لقد انتصف اليوم الثاني على اختفاء الطفل، ولم يعثروا عليه بعد، ولكن الجماعة انطلقت بِمبادرة ذاتية كُلها عزم وتصميم على المُتابعة. وكانت جيب الموهافي تقطعُ شوارع المدينة الواحدة تلو الأخرى. هذا هو نمط الحياة الذي اختاروه بِملء إرادتهم، وما كان يُهمهم لا التعب ولا الجوع أمام ثقل المهمة وحجمها الملقاة على عاتِقهم، وقبل خروجهم من مدينة القامشلي وقفوا أمام سوبر ماركت كبير. فأوقف السائق سيارة الجيب، ثُم توجه إلى المحل. وقد سأل بلعون المحامي بريسكو:

-ما حاجة صاحبنا إلى السوبر ماركت؟

-لا أعلم، وعلى حد علمي، إنه لا يشرب الدخان.

-وأنا أيضاً لا حظتُ ذلك.

فقال آدم بريسكو:

-سنرى.

أجابه عليش بلعون:

-تقصد إن كان كريماً أو بخيلاً.

-هذا ما أقصده؟

فتح مهران عبده باب السيارة، وأعطى الجماعة التي كانت تنتظره بِفارغ الصبر كيساً أسود مُنتفخ كبطن امرأة حامل بتوأمين بِشهرها الأخير، وما إن فتحوا الكيس حتى تبينت محتوياته، عصائر مُختلفة، مياه غازية ومعدنية، بسكويت مُغطس بالشوكولا، ألواح شوكولا فاخِرة، حليب مبستر، بطاطا شيبس، فوشار بِطعم الجبنة. يبدو الآن لا حاجة لهم للسؤال كما يقولون المكتوب واضح من عنوانه.

ثُم انطلقت بِهم الموهافي الحديثة شرقاً على الطريق الرئيسي ودواليبها الضخمة تنهبُ تحتها الإسفلت الأسود نهباً، حيث كانت الوجهة إلى أقرب مدينة، وهي تبعُد عن القامشلي نحو ثلاثين كيلو متراً. ووصلوا إلى مدخل البلد. ما بعد الظُهر بقليل، وبدعسةٍ مُفاجئة للسائق عبده على مكابح الجيب توقفت أمام لوحة معدنية:

-أهلاً بِكم في مدينة قحطان فونيا.

نظر الثلاثةُ إلى بعضهم مصدومين فسأل بريسكو:

-هل ضيعنا الطريق يا أصدقائي؟

أجابه بلعون:

-لا أعتقد إننا قد ضيعنا طريقنا.

-لكن بِما تفسر هذا؟

ردَّ عليه السائق مهران عبده:

-هذا هو الطريق القديم منذُ أن كنتُ صغيراً، كنتُ آتي مع أبي في زياراته التجارية إلى هنا.

فسأل المحامي آدم بريسكو:

-أليس اسمها قحطانية؟

أجابه عبده:

-نعم. قحطانية.

-إذن من أين أتى الاسم الهجين؟

لقد لاحظ فريق البحث والتفتيش من الوهلة الأولى عندما قرأوا الاسم على اللوحة الحديدية المنصوبة في مدخل المدينة بألوانها الفوسفورية المبهرة. رأوا أن القسم الأول عربي وهو قحطان تتمةً لِكلمة القحطانية، أما القسم الثاني أمريكي وهو فونيا جاءت من كلمة كاليفورنيا، إحدى الولايات الأمريكية المشهورة بِحقول النفط والغاز الطبيعي.

تدخل المُساعد الأول بالبحث، فقال:

-لقد شغلكم الاسم عن شيء مهم.

وأضاف بلعون:

-مدوا نظركم إلى البلد، ما الذي حل به؟

وضع المحامي آدم بريسكو قائد فريق البحث يده فوق جبينه بِاشتياق مُباغت، ودقق في الأفق الذي امتد أمامه فرأى بعين الخيال اليقظ الشيء العجيب، فلم يُصدق عينيه أبداً.

فقال بريسكو:

-لم آتِ إلى هنا بعد الأحداث التي عصفت بالبلد قبل أكثر من عقدٍ من الزمن. كانت وقتئذٍ مدينة عادية وكان الاسم قحطانية.

أجابه السائق عبده مؤكِداً:

-ولا حتى أنا.

وأكد بلعون:

-ولا أنا.

وأضاف:

-ألا ترون تلك البروج الطويلة التي تُعانق السُحب، إنها تُشبه ناطحات السحاب في ولاية كاليفورنيا الأمريكية.

أجابه مهران عبده:

-يا جماعة شيء لا يُصدق. فمثلُ هذا التغير في بلدنا أشبه بِعجائب الدنيا السبعة. فزادت هذه عليها بِواحدةٍ أخرى، وجعلتها منذُ الآن عجائب الدنيا الثمانية.

أجابه بريسكو:

-كيف لنا أن نبحث بالمشافي وأقسام الشرطة وحتى عن أماكن عِصابات التجارة بِأعضاء البشر؟

فأضاف:

-لا يمكننا أن نتصرف أو نتحرك من هنا خطوة ما لم نحصل على دليل. أو يكون معنا رجل من أهل البلد حتى يقوم بِمُساعدتنا لأننا نجهل معالم كل شيء بِهذه المدينة الحديثة الطِراز بِشوارعها وأحيائها ودوائرها. فهل أنا مُخطئ أم ماذا؟

أجابه بلعون على الفور:

-اتفِقُ معك تماماً، وإنك على حق.

ردَّ عليه عبده:

-نعم. بريسكو على حق.

كان المحامي آدم بريسكو على حق. هل يمكن البحث عن الولد المُختفي في متاهة البلد الجديد وسط المباني الحديثة والتخطيط العمراني الجديد منسوخاً كتجربة أمريكية ليست بِسهلة، ولكن ما العمل أمام هذه المشكلة التي واجهتهم قبل أن يدخلوا المدينة، وهم ما زالوا واقفين أمام أسوارها العالية كحصنٍ منيع يَستعصي على الاقتحام، وهذا الجيش الصغير المؤلف من قائد وجنديين أعزلين. لا يملكون حتى نصلاً معدنياً معهم، ولكن لا يهم ما دام العقل البوصلة التي يتحركون على أساسها. فسأل سائق جيب الموهافي الحديثة في شبه يأس:

-ما الحل يا أصدقاء؟

أجابه بلعون:

-الحل هو الانسحاب في الحال.

تدخل آدم بريسكو:

-كيف تتجرأ على هذا القول؟

أجابه مهران عبده:

-هات لنا بِحل.

ترك المُساعدين أمام السيارة غارقين بِبحرٍ من اليأس. بينما دلف هو إلى السيارة، وظل مُعتكفاً بِخلوته لمدة نصف ساعة تقريباً. كان يبحث عن حل لهذه المشكلة التي وقفت كسد أمام مُهمتهم البحثية. فضرب بِكلتا يديه على عجلة القيادة وخرج مٍسروراً لِمُقابلة مُساعديه بِحلٍ سريع فقال بريسكو:

-لقد وجدتها.

سأله بلعون:

-ماذا وجدت؟

-الدليل.

فقال عبده سريعاً:

-أي دليل؟

أجابه بريسكو بِفخر:

-الدليل الذي سيقودنا إلى المدينة، وسيُعرفنا بِجميع المستشفيات والمراكز الصحية هناك.

- من هو الذي سيترك عمله من أجلنا؟

أخرج المحامي بريسكو دفتر هواتف صغير من جيب قميصه، ثُم ردَّ عليه:

- صديق قديم.

سأله بلعون:

-هل صديقك يعيشُ هنا؟

-نعم لِنُجرب حظنا.

اتصل بالرقم المطلوب، فإذا بِصوتٍ يأتي من الطرف الآخر يقول:

-من معي؟

-معك المحامي العاطل عن العمل آدم بريسكو.

-كيف حالك يا صديقي بريسكو؟

-بِخير.

-وأنت كيف حالك؟

-وأنا أيضاً بِخير.

وأضاف:

-أين أنت الآن؟

-أنا.

-نعم.

-واقِفٌ مع اثنين من أصدقائي بِمدخل المدينة، عند اللوحة المعدنية.

-هل من خدمة؟

-إذا تفضلت.

-إذاً انتظرني أنا آتٍ إليك.

لم يمض أكثر من ربعُ ساعة على قطع الاتصال، حتى كان السيد عامر محمد واقفاً بِسيارته أمام صديقه آدم بريسكو ومُساعديه. فسلم عليهم آخِذاً المحامي بريسكو بالأحضان الحارة، وذهبوا جميعاً بِرفقة الدليل لِزيارة جميع المشافي والمراكز الصحية في المدينة، ولم يعثروا على أثرٍ يدلُ على وجود الطفل المختفي، ثُم شكروا دليلهم على حسن تعاونه ومُساعدته لهم. فأراد السيد عامر محمد صديق بريسكو أن يدعوهم إلى الطعام في مطعم قريب، ولكنهم رفضوا ذلك بِشدة، وسلموا عليه وودعوه على أمل اللقاء به، وأنهوا بِذلك يومهم نصفه بالتخيُلات والتأمُلات، ثُم قفلوا عائدين إلى مدينة القامشلي. لِبدء اليوم الثالث بِمدينة أخرى تقع في نِطاق مُخطط الدائرة الكبرى في بحثهم الدؤوب والمستمر عن الولد الصغير.

& & & & &

اليوم الثالث

انطلقت جيب الموهافي ذات اللون الأسود اللامع تقريباً في العاشرة والنصف صباحاً نحو مدينة عامودا لتقتفي أثر الطفل المختفي، حيثُ سأل المُساعد الأول عليش بلعون المحامي بريسكو:

-سيدي أراك كئيباً هذا اليوم.

-لا، ليس الأمر كما تتصور.

قاطعهم السائق مهران عبده:

-ماذا إذن؟

أجابه بريسكو:

-إنه الأرق فقط.

-خيراً إن شاء الله.

-أُفكر بِمصير الطفل المريض. فلا شيء يدلُّ على وجوده. كأن الأرض انشقت وبلعته.

أجابه بلعون:

-لا تيأس يا بريسكو حتى الآن لم نفقد الأمل.

ردَّ عليه المحامي آدم بريسكو قائد الفريق:

-عسى أن يكون كلامك فألَ خير.

فقال المساعد الثاني مهران عبده:

-إذا كان شعورك تِجاهه بهذا الشكل فلنتصور كيف هو شعور الأم بِفقدان ابنها الوحيد، ولا تعلم شيئاً عن مصيره.

-حتماً سيكون مؤلماً وحزيناً.

ساد صمت فيما بينهم، وهم يصغون إلى صوت واحد فقط. هو صوت احتكاك الدواليب العريضة بالإسفلت الأسود، حتى اخترقه صوت المحامي المستقل بريسكو، فيقول:

-أصدقائي بِمناسبة توجهنا إلى مدينة عامودا يمكنني أن أسرد عليكم قصة مأساوية قديمة تتعلق بالأطفال، حتى وصولنا إلى هناك. فهل أنتم موافِقون على الاستماع؟

فقال المساعدان:

-دعنا نستمع.

وتحدث بريسكو:

(سأقصُّ عليكم قصة وقعت بِخصوص مجموعة من الأولاد، وذلك كان قبل ستين عاماً من الآن في 13-11-1960 حيثُ شهدتها مدينة عامودا آنذاك، ولن تُمحى من الذاكرة أبداً. فمات أكثر من مئتين وخمسة وثمانين طفلاً لا تتجاوز أعمارهم اثنا عشر عاماً. حينما اندلعت النيران في سينما عامودا. وكان البناء من الطين، والسقف من القش والجدران كانت مُغطاة بِقُماش سريع الاشتعال، ولم يكن للسينما غيرُ بابٍ واحد صغير، وكان اسم الفلم المعروض (جريمة في منتصف الليل)، وفجأة دون سابق إنذار انقطع عرض الفلم، وبدأ ألسنة اللهب الزرقاء تلعقُ من حولها بشهية مفتوحة تلك الأجساد الصغيرة، وسرعان ما ارتفعت مجموعة جائعة من أفاعي النيران ترفعُ بِرأسِها عالياً تُهاجِمُ السقف القشي وجدران القماش النايلو بوحشية وهمجية لا توصفان. فأصبحت صالة السينما جحيماً

أرضياً، وضمت ما بين أحضانها اللاهبة خمسمئة طفل صغير. كانوا يُشاهدون ذلك العرض بِكل سعادة، وهنا جاء دور البطل الشهيد محمد سعيد آغا دقوري، الذي كان جالساً بِذلك التوقيت المشؤوم في إحدى مقاهي المدينة القريبة من مكان السينما، وهو يحتسي الشاي السيلاني الثقيل مع أصدقائه. فسمع محمد دقوري الرجل الشهم بِاندلاع الحريق في مبنى السينما، فهرع على عَجلٍ يركُض بِكل ما يملكه من طاقة بِاتجاه النار المشتعلة، وفي الطريق يلتقي بهِ ولده الذي خرج سليماً دون أن يُصاب بالأذى أو حروقٍ بليغة ويقول لأبيه:

-يا أبي ها أنا حي، ونجوتُ بنفسي. فلنعُد إلى البيت.

فيرد الأب على الابن الناجي:

-لا يا بُني. فكُل هؤلاء الأولاد الذين كانوا معك بالسينما، وعلِقوا هناك، وهم الآن يستغيثون بِصرخاتهم العالية طالبين النجدة، ونبراتُ أصواتهم تُدمي القلوب وتقشعر منها الأبدان هم مثلك أولادي أيضاً.

ثُم يترك ولده وبِعُجالة الملهوف يمضي قُدُماً إلى المكان الذي اندلعت فيه تلك النيران، وببطولة قلَّ نظيرُها يقتحِمُ دقوري الشُّجاع تلك النيران المُتأججة التي كانت وقودها أجساد أولئك الأولاد الرقيقة، وفي كل مرة كان ينتشِلُ طفلين يضعهما تحت ذراعيه القويتين كالفولاذ، ويفرُّ بِهما هارِبين إلى الخارج حيثُ ينشدُ لهما الأمان، ويقوم بِذلك عدة مرات مُتتالية. فينقذُ اثني عشر طفلاً من هلاكٍ مُحقق، ومن شدة حرارة جسر الحديد المُقام فوق باب السينما الصغير. فقد هوى ذلك الجسر فوق رأسِ الرجل الذي تطوع لإنقاذ أرواح أطفال ملائكة صِغار، فمات في الحال تحت تأثير مشاعر إنسانية قدم فيها نفسه وحياته تضحيةً وفِداءً لإنقاذ حياة مجموعة من الأطفال العالقين كانوا في حاجةٍ ماسة إلى المُساعدة والخلاص. فمنذُ تلك الحادثة أُطلِقَ اسمه على مدينة عامودا، والتي تُسمى (عامودا أبو محمد).

وما أن انتهى من سرد القصة حتى كانوا أمام مدخل مدينة عامودا، فقال بلعون مُتأثراً:

-ها هي (عامودا أبو محمد).

أجابه عبده على الفور:

-الفاتحة.

قاموا بِقراءة سورة الفاتحة على روح الشهيد البطل محمد سعيد آغا دقوري والأطفال الضحايا، ثُم انطلقت بِهم السيارة تجوب الشوارع الضيقة، ويتألف سوق المدينة من شارع وحيد وعلى جانبيه محلات من جميع أصناف البضاعة. وبدأت مجموعة البحث والتفتيش بِشكل جدي بحثها في جميع المستشفيات العامة والخاصة، وكذلك المراكز الصحية، ودور الحضانة عسى أن يهتدوا إلى أثرٍ للولد الصغير الذي يبحثون عنه، وعند مرورهم بِتلك الأماكن كانوا يجرون حديثاً بغاية اللطف والاحترام مع المسؤولين الذين يُقابِلوهم، وهم يخرجون صورة الطفل التي ظهرت صباح اليوم الأول من عملية الاختفاء بِجريدة قامشلي جليد دون فائدة. وبإحدى ساعات البحث الطويلة سألهم السائق مهران عبده:

-ألا تُلاحظون شيئاً؟

سأله بلعون:

-ما هو هذا الشيء؟

-لا نملك قطعة سِلاح.

أجابه المحامي بريسكو:

-برأيي ألا نحمل السلاح.

وأضاف:

-حتماً قد يكون مُعداً لزهق روح بريئة.

أجابه المُساعد الأول الذي كان له سوابق مع السِلاح:

-اعذرني يا سيد بريسكو هذه أفكارٌ رُبما لا يؤمن بِها أكثرية الناس، ولا حتى أنا بِفترة من فترات شبابي الأولى.

-رُبما تكونُ على صواب.

وأمضوا يومهم الثالث في تلك المدينة، ثُم عادوا خائبين في بحثهم إلى حانة الضفادع المموهة، ولم يعثروا على الطفل الضائع.

& & & & &

اليوم الرابع

مضت ثلاثةُ أيام كاملة على عملية الاختفاء ونتيجة البحث لا شيء، وها هو اليوم الرابع والشمس تُشرِقُ على مجموعة البحث والتقصي المستقلة بِنورها الخفيف والمُتقطع؛ فتظهر وتختفي على هوى حركة السحب، فتلعبُ تلك السُّحُب بِودٍّ مع الشمس لعبة الغُميضة التي يعشقُها الأطفال الصغار. طفل يغمض عينيه والآخر يختفي ويتوارى عنه، وهكذا كانت الشمسُ والسُّحبُ تتبادلانِ الأدوار في لعبة الغُميضة بِكسل فيما بينهما، وكان عناصر البحث والتحقيق جالسين في حانة الضفادع المموهة، والساقي اليتيم والوحيد كالعادة كان يظهر ويختفي وسط جو القذارة الذي يُسيطر على حانته. نظر بلعون جِهة المشرب، وكان يتوقُ إلى مشروبٍ حينها فقال:

-ابن الزانية، لن يتغير أبداً.

ردَّ عليه صديقه عبده ليخفف قليلاً عنه:

-كالعادة الاشتياق للبيرا.

-نعم. الاشتياق.

فقال بريسكو:

-أنا أُريده بأمرٍ أهم بِكثير.

سأله بلعون باهتمام:

-وما هو الأمر المهم لديك، ألا يمكنك أن تُخبرنا به؟

-يجب الحصول على سكن لعدة أيام.

-أين؟

-هنا.

-وما الحاجة؟

أجابه عبده:

-أنا أعرف.

-أنت تعرف؟

-أعرف أننا انتقلنا إلى مرحلة أخرى في البحث، إلى دائرة أضيق، ويجب أن نجتمع ونلتقي بِاستمرار في حال الحصول على معلومات جديدة والحاجة إلى السكن معاً أفضل. أليس صحيحاً يا بريسكو؟

أجابه بريسكو:

-بلى. صحيح.

وأضاف:

-ويمكننا أن نُقسّم العمل أيضاً فيما بيننا.

سأله بلعون المساعد الأول:

-كيف؟

أجابه المحامي بريسكو:

-أنا أعملُ على الدائرة الصغيرة، والتي تشمل البيت مع أخبار الحي.

- ونحنُ.

ظل بريسكو يفكرُ لحظةً، فقال:

- وأنتم يا أصدقائي عليكم أن تعملوا بالدائرة الوسطى حسب المُخطط الذي وضعناه سابِقاً، فيشمل عملكم الأحياء الأخرى بِما فيها المستشفيات العامة والخاصة بالمدينة جميعها، ومختلف دور الرعاية.

سأله السائق مهران عبده:

- هل أفهم من هذا أنك قُمت بِتجزئة المهمة إلى جزأين؟

ردَّ عليه بريسكو:

- نعم.

وتدخل بلعون فقال:

- لاختصار الوقت.

أجابه بريسكو:

- نعم. لأن مرور الوقت ليس في صالحنا ولا في صالح أهل الطفل؟

ردَّ عليه عليش بلعون:

-هذا ما فكرتُ فيه هذا الصباح. فكُلما تأخر الوقت في العثور عليه قلَّت فرصة الولد بالحياة.

فقال المحامي آدم بريسكو يؤيد مُساعده بلعون:

-فأنا أيضاً لدي الإحساس والشعور نفسه، وإن مرور الوقت شيء غير مفيد.

ظهر الساقي كمارد ٍ أمامهم، فسأله بريسكو قبل أن يطلب منه بلعون البيرا:

-هل تلك الغُرفة خلف الحانة فارغة؟

-نعم. يا سيد بريسكو.

-أيمكن أن تستأجرها لنا عدة أيام؟

-لا يُهمني الأيام بِقدر ما يُهمني أن تدفع الأُجرة مُقدماً.

-اتفقنا. وسأدفع لك المال الآن.

أخرج المُمول عليش محفظته المتخمة بالمال وقال له:

-جهز العقد. وخُذ المال.

وأضاف:

-ولكن قبل أن نذهب أحضر لنا ثلاثة كؤوس من البيرا المكسيكي. قبل أن أغضب عليك.

ابتسم الساقي فقال:

-حالاً يا سيد بلعون.

وقبل أن ينطلقوا في عملية البحث لليوم الرابع. كانت مهمة بريسكو تمشيط الدائرة الصُّغرى، وكانت مهمة المُساعدين تمشيط الدائرة الوسطى فقال بريسكو قبل الذهاب بقليل:

-بِهذا الوقت المتبقي من النهار يجب علينا أن نعاين الأماكن التي تُحيط ببيت الطفل الضائع، وفي المساء علينا أن نجتمع بِمقرنا الجديد الذي استأجرناه من ساقي الحانة؛ لأننا نعد أنفسنا إدارة خلية أزمة، ولهذا يجب علينا أن نكون قريبين من بعضنا لأجل العمل واللقاءات المُباشرة لِنتبادل كل المعلومات التي نحصل عليها من الناس أو من الجهات الرسمية، وإذا دعت الحاجة عملنا ثلاثتنا في المكان نفسه. فهل أنتم موافِقون على اقتراحي هذا يا أصدقائي المُحققين؟

أجابا معاً:

-موافِقان وعلى العهدِ فيما بيننا ماضيان.

-هيا! حان الآن وقت الانطلاق.

وقفوا معاً وقفة رجل واحد، ومضوا خارجين من حانة الضفادع المموهة، والتي أصبحت مقر عملهم وبمنزلة بيتهم في هذه

الفترة على الأقل لغاية جلاء الحقيقة في شأن اختفاء الطفل ذي الثلاث سنوات.

وتابع بريسكو مسيرته مشياً على الأقدام. نحو الجزء المُكلف به لِمتابعة القضية، وفي الخارج كان هواء كانون الثاني قارِساً، إلا أن حدة البرودة في ذلك اليوم أدمعت عينيه، وأثرت في صلعة رأسه فزادته وسامةً. فكل من كان يلتقي به يُبادره بالسلام، ثُم يمضي في طريقه. الشُّهرة لا تأتي من النجاح في الحياة فقط، فالفشل الذريع أيضاً قد يُكسب الشُّهرة، وأحياناً بعض المجانين يكسبون شُهرة على طول البلاد وعرضها، ولكن بريسكو الخائب بِعمله سابِقاً يخرج من جديد بِصفة محامي الشارع المستقل، ويحقق بِأول قضية بِلا مُقابل أو أجرٍ مادي، إنما مكسبه الوحيد الجانب المعنوي فقط، وعليه أن يُحدد اليومَ الأماكن القريبة من بيت الولد الضائع، وكذلك على أمل أن يوفق إلى شخصٍ يُساعده في ترتيب لقاء مع أهل الطفل الصغير، ثُم وصل بريسكو الذي كان كُتلة من النشاط والحيوية إلى دوار تمثال العامل في حي البُخلاء، وحدد اتجاهه نحو الشرق بِاتجاه سوق

المدينة، فإذا حدد اتجاهه نحو الشمال فسيذهب أيضاً إلى السوق، أما إذا حدد اتجاهه إلى الجنوب سيُقفل عائداً إلى المكان الذي انطلق منه الآن، ولكنه كان على معرفة سلفاً بالاتجاه الذي حدده والخوض بِمُغامرته الأولى وبحثه المستقل، ثُم وصل إلى مطعم صغير إلا أن صاحبه قد أغلقه وسافر إلى سويسرا. فظل هناك مدة أكثر من سنة وعاد إلى بلده ثانية. فظلت لوحته الإعلانية مُعلقة دون أن ينزعها كل تلك المدة السابقة، لِسبب لا يعلمه إلا صاحب المطعم نفسه. أخرج بريسكو ورقة من حقيبته وسجل فيها اسم المطعم. وتابع نحو ثلاث خطوات أو أربع، ونظر إلى الأعلى فرأى لوحة أخرى لمصلح دراجات هوائية. فقام بتدوين اسم المحل ورقمه على الورقة نفسها، ثُم أرجعها إلى مكانها الأول، وقفل عائداً إلى الخلف تقريباً بِشارعين، وعند زاوية الشارع الثاني التقى بريسكو بِرجل نحيل. كان له به معرفة سابِقة، ولكنه لاحظ أن الرجل كان بِحالة يُرثى لها، وتبين من طريقة حديثه وفمه نصف المُغلق أنه قلع ضرساً. فقرر ألا يقف معه، إلا أن الرجل النحيف كان عازِماً أن يتقدم إليه، ويتحدث فقال:

-كيف حالك يا سيد بريسكو؟

أجابه بريسكو دون اهتمام:

-لا بأس.

ولكن الرجل كان مُصمِماً أن يأخذ ويعطي مع بريسكو، فانتهز المحامي الفرصة، وسأله:

-أراك قلعت ضرساً؟

-نعم.

-عند الدكتور.

-نعم. هو.

لقد خدم هذا الرجل العابر المحامي بريسكو خدمة العمر، لأنه لم يكُن يُفكر قطعاً بِزيارة الطبيب، وما كان على جدول أعمالِهِ. إن عابر السبيل هذا قد دله على أهم شخص يمكن أن يُرتب له لقاء مع أهل الولد، لأن منزل الدكتور قريبٌ من منزل الولد المختفي، أو قد يكونون زبائن العيادة وهذا شيء أكيد. فيجب أن يترك الرجل

النحيف سريعاً لِيذهب بِحال سبيله، ويتفرغ هو إلى مُتابعة عمله الذي بدأه. أصبح لدى المُحقق بريسكو فرصة من الذهب، ثُم دخل إلى جهة الشمال، وكانت عيادة طبيب الأسنان. والعيادة غرفة صغيرة لا تتجاوز مترين طولاً بِمترين عرضاً، ولكن حجم المكان لا ينعكس على شخصية الطبيب، الذي كان بارعاً بِعمله، ويعمل بأرخص الأجور، ويراعي دائماً ظروف المرضى الذين يلجؤون إليه بِكثرة. إضافة إلى أنه كان طيب القلب. وكان موقع العيادة لا يبعد سوى شارعين عن الطريق العام، والذي تركه المحقق الآن. فلم تمضِ سوى دقائق عندما دلف إلى عيادة طبيب الأسنان. فكان بريسكو واحداً من زبائنه السابقين، ولم يكُن في العيادة غيرُ مريض واحد مُمدداً على الكرسي الطويل، وعلى الفور سلم على الدكتور. فدعاه الأخير إلى الجلوس على كرسي بِجانب طاولته، وهو يفحص فم المريض الذي كان مفتوحاً على مصراعيه، وبعد أقل من ربع ساعة انتهى الدكتور من معالجة أسنان مريضه، وحدد له يوماً آخر من الأسبوع

للعودة إليه ثانيةً. فظل بريسكو والدكتور وحدهما بالعيادة السنية، فسأله بريسكو:

-لماذا كان مريضُك يُقفل بِقدميه على بعضهما، مثلُ المقص المقفل؟

-لا أعلم.

-إنها نتيجة حالة من الخوف والقلق تنتاب المريض، فيقوم بِقفل قدميه دون وعيٍ منه.

ضحِكَ طبيبُ الأسنان، وقال:

-لديك معلومات قيمة يا بريسكو.

-نعم.

كان بِزاوية العيادة الصغيرة فلترٌ للماء الساخن. فقام الطبيب، وأحضر كأسين من القهوة التي تذوب سريعاً واحدة له والأخرى لِضيفه المحقق بريسكو الذي حل عليه كضربة قدر. فسأله الطبيب:

-هل لديك مشكِلة بِضرس العقل الذي عالجناه سابِقاً؟

-لا أعرف كيف أشكرك، لِأنك بذلت جهداً جباراً، حتى جعلت منه مثل أسناني السليمة.

-إذا ما خاب ظني يا بريسكو، فأنت تقوم بِمهمة عمل.

- ظنك صحيح يا دكتور.

-الحصول على معلومات.

-بالطبع، هذا ما أُريده.

فسأله الطبيب:

-هل تود أن أكون صريحاً معك؟

-لا شك في ذلك.

-ليس لدي معلومات كثيرة، إلا القشور منها، وهذه كُل الناس تعرِفُها، لأنني، صدقاً، كما ترى مرتبط بِمواعيد كثيرة مع الزبائن المرضى، وليس لدي الوقت الكافي لِمتابعة الأخبار.

-ألا يمكنك أن تُرتب لي لقاءً مع أهل الطفل.

-اعتبر أن طلبك مُجابٌ عليه.

-أُريده في صباح يوم غد.

وأضاف أيضاً:

-فيكون ذلك أفضل إذا تفضلت.

طمأنه الطبيب، وأكد له أن طلبه بسيط جداً، ولن يكون إلا راضياً بِتلك الزيارة، ثُم نظر إلى مريضه السابق وابتسم له ابتسامة عريضة، فقال الطبيب:

-يمكنك أن تذهب إلى هناك في أي وقت تشاء.

فقام بريسكو على عجل وشد بِقبضة يده الضخمة على يد الطبيب الناعمة، وشكره على حُسن مُعاملته، ومساعدته في الوقت نفسه، ثُم خرج مُغتبِطاً من العيادة السنية، وفي مساء ذلك اليوم كان اللقاء بِمُساعديه صعباً، لأنهما تأخرا بِمُهمتهما البحثية حتى ما بعد منتصف الليل بكثير جداً، ولم يجتمِعوا إلا في صباح اليوم الخامس من اختفاء الولد الصغير.

& & & & &

اليوم الخامس

حل صباح اليوم الخامس، على مجموعة البحث والتقصي بِحانة الضفادع المموهة، حيثُ سيتم تبادل المعلومات فيما بينهم بعد الجولة الطويلة منذُ صباح أمس، وحتى وقت متأخر ما بعد منتصف الليل فقال بريسكو:

-يا أصدقائي أُبشركم خيراً، بأنني رتبتُ لِقاء مع أم الطفل الضائع اليوم.

رد عليه عليش بلعون:

-أحسنت عملاً.

فقال السائق عبده:

-لم أتوقع أن نتقدم بِهذه السرعة.

أجابه بريسكو:

-ولا أنا لم أكُن أتوقع، ولكن الحظ هو الذي خدمني. فلو لم يقف ذلك المريض الذي قلع ضرسه يعترض طريقي وهو آتٍ من العيادة السنية لما تمت المُقابلة، وبِما أنني أيضاً كنتُ من زبائن العيادة فسهلت الأمور، وبعد زيارة سريعة للطبيب قام بترتيب ذلك اللقاء الذي كنتُ أنشده للبدء بالمُهمة الانسانية الملقاة على عاتقي.

وأضاف أيضاً:

-لقد عاينت المكان بِشكل جيد، وكذلك سجلتُ بِطريقي أسماء بعض المحلات القريبة من منزل أهل الولد الضائع.

فقال بلعون:

-اعترِفُ لك، يا بريسكو، أنك نجحت في عملك البارحة.

وأضاف بلعون:

-أما بالنسبة إلينا فقد أخفقنا في عملنا. فكُل المستشفيات والأماكن العامة التي زُرناها، وأعطيناهم صورة الطفل والمعلومات

المتعلقة به، رحبوا بِنا، ولم يلحظوا دخول أي طفل بهذه المواصفات إلى المستشفى خلال الأيام الأربعة الماضية.

تدخل مهران عبده قائلاً:

-ولم نتمكن من زيارة الأماكن والمراكز الصحية جميعها، واليوم سنكملها.

فسأل المحامي بريسكو:

-هل هذه هي حصيلة مجمل الأخبار والمعلومات لديكم؟

أجابه على الفور المساعد الأول بلعون:

-كُدتُ أنسى شيئاً مهماً البارحة، أكد لنا المسؤولون جميعاً وبِشكل قاطع أن الشرطة كانت تبحثُ قبلنا.

رد عليه بريسكو:

-لا علاقة لنا بِهم، مُهمتنا مستقلة والمعلومات التي نحصلُ عليها سنكتب بِها تقريراً، وسنُسلمها لعناصر الشرطة ولا شيء غير ذلك.

كاد بريسكو أن يتفوه ويهم بالمُغادرة والانطلاق إلى العمل، ولكن بلعون سبقه وأشار إلى الساقي من خلف المشرب، ثُم رفع بِأصابعٍ ثلاث عالياً يدلُ على تجهيز ثلاث كؤوس من البيرا المكسيكي للمجموعة.

ابتسم بريسكو، وقال:

-بلعون لقد أصبحتُ مثلك مُدمن البيرا.

أجابه بلعون:

-ظل عبده الوحيد يُبدي امتعاضاً من شرب البيرا، فأنا أُكفله بأن يتعلم مثلنا، قبل أن ننهي مُهمتنا.

فقال عبده:

-هذا رأيي أنا أيضاً.

وعندما أتى الساقي بالكؤوس الثلاث، والرغوة الكثيفة تعلو حواف الكؤوس الممتلئة حتى الآخر، همس بريسكو في أُذن الساقي قائلاً له:

-بعد قليل جدد دورة ثانية.

وكانت فرحة بريسكو بسبب حصوله على موعد للتحقيق مع أم الطفل المختفي اليوم الساعة الثانية عشرة ظُهراً، والآن قد بلغت الساعة الحادية عشرة تقريباً. فنبهه بلعون بِقُرب اللقاء المرتقب. فركبوا جميعاً جيب الموهافي، ونزل بريسكو بِدوار العامل، ثُم تابع مُساعداه طريقهما إلى إتمام زيارتهُما على ما تبقى من المستشفيات الأخرى.

دلف المحامي بريسكو سريعاً إلى شارع منزل الطفل الذي يبحثُ عنه طيلة هذه الأيام. فنظر إلى السماء من فوقه. فرأى كتلةً ضخمة من سحابةٍ سوداء قد تشكلت فوق حي البُخلاء، ولكنه سرعان ما وقف أمام الباب، وقبل أن يدق الجرس وقف منتصِباً بِمكانه يُدقق في المنازل على جانبي الشارع الذي هو فيه. كانت هناك عدة بنايات مُجاورة، والبيت الذي وقف أمامه كان من البيوت العادية، ثُم دق جرس الباب أخيراً، ففتحت له امرأة الباب. كانت متوسطة الطول، مكتنزة الجسم والوجه، وبشرتُها ناصِعة البياض على

خلفية وجهٍ قمري الشكل، وقد دعته بِصوت في غاية الرقة والعذوبة:

-تفضل يا سيدي.

فعرَّف عن نفسه لها:

-أنا المحامي المستقل آدم بريسكو.

-أعرِفُكَ يا سيد بريسكو.

وعندما دلف وراءها إلى فِناء الدار، حيثُ وقف بريسكو يُعاين جميع الاتجاهات التي تُحيط بِذلك المنزل، لحظ من جهة الشرق بناءً مكوناً من أربعة طوابق، ومن الشمال توجد بناية حديثة، ومن الغرب بيت عادي يُجاوره. فرسم المُخطط في ذهنه، ولاحقاً سيقوم بِرسمه على الورق.

كان يفصل البيتين جِدار يصِلُ إلى ما فوق الخصر. فاقترب بريسكو من الجدار الفاصل، ومال برأسه الأصلع لحظة خاطفة فلمح

شيئاً، ولكنه لم يكُن مُتأكداً. وكان مرتبِكاً قليلاً لأنه لم يرَ أحداً بِطريقه إلى البيت، ولكن أم الطفل انتبهت لِذلك، فقالت له:

-حماتي موجودة بِغرفتها، وهي امرأة كبيرة بالسن ومريضة، وزوجي ذهب إلى العمل. تفضل يا سيدي إلى الداخل.

ارتاح بريسكو لِصراحة وجرأة تلك الأم المفجوعة بِولدها الضائع، وتبِعها ثم فتحت باب غرفة المعيشة، ودعت المحامي للجلوس على كرسي بلاستيكي مُقابل شاشة قياس اثنين وثلاثين بوصة، لا يوجد صور شخصية مُعلقة على الجدران العارية. لقد صدق حدسه إن الخارج والداخل يوحيان بِحالة الفقر الطاغية على كل شيء.

فقال بريسكو:

-أنا آسف. هل جئتُ بِوقتٍ غير مُناسب؟

أجابت المرأة بِأدبٍ واحتِرام:

-بالعكس أشكرك كثيراً، لأنك تطوعت أن تبحث عن ابني يوسف.

-أتيتُ بِخصوص الاستفسار عن بعض الأمور.

-ماذا تشرب أولاً؟

-أرجوكِ يا سيدتي لا داعي أن تُعذبي نفسك.

-لا يجوز. فأنت ضيف، ومن الواجب إكرام الضيف.

-إذن لا مانِع من قهوة، وإذا كانت سادة فهذا أفضل.

-عن إذنك يا سيد بريسكو.

-حسناً يا سيدتي.

خرجتْ المرأةُ التي تقطَّرُ منها الحزن الطازج، جراء اختفاء ابنها الصغير لليوم الخامس، ولا معلومات عن وجوده إلى الآن. فقد تأسف المحامي بريسكو على تلك المُصيبة التي ألمتْ بِها، وعند فتح باب غُرفة المعيشة. سمع بريسكو صوت سُعالٍ حاد لِعجوزٍ مريضة، وقبل تقديم القهوة قام بتجهيز أوراقه لِكي يقوم بتسجيل

الأسئلة والأجوبة في تحقيقه مع أم الطفل. لقد كان يُراود بريسكو شعور غريب ويتهيأُ له كيف يشعرُ صاحب المُصيبة، وكيف طعم الأكل عنده، وكيف له أن ينام. وكان يسبحُ بِدوامة تلك الأفكار، حتى انتشلته المرأة الغائبة التي أحضرت القهوة، ووضعتها أمامه فشكرها على حسن الضِّيافة، ثُم غرق ثانيةً في تأملاته يسألُ نفسه بالرغم ما لحق الأهل ذلك البلاء، إنه يرى البيت فارغاً من أهله. فكلُ فرد فيه يُزاول عمله، ويهتم بِشؤونه الخاصة غارِقاً في بحرٍ من النسيان.

أخذ بريسكو رشفةً من القهوة الساخِنة وسأل أم الطفل الضائع الجالسة أمامه:

-بِأي يوم اختفى طفلُكِ؟

-اختفى بيوم 16-1-2020.

حسب المُحقق بريسكو:

-يعني أنه قد مضى على اختفائه الآن خمسةُ أيام.

-خمسة أيام بالتمام والكمال.

فسألها بريسكو:

-ما مرضه؟

-الصرع (زيادة الكهرباء بالرأس)؟

-ما الأعراض التي كانت تظهر عليه؟

-كُنا نُعالجه باستمرار، وهو بِعمر ثمانية أشهر، وكل أيامه كان يُعالج بالدواء، وإن لم أعطه الدواء بِمواعِيده المحددة فكان يُعاني من نوبات حادة تؤدي إلى فقدان الوعي لديه، بالإضافة إلى أن أعصابه كانت ضعيفة للغاية.

-هل أفهم من ذلك أنه كان من ذوي الاحتياجات الخاصة؟

-نعم.

-ماذا يعمل زوجكِ؟

-سبّاك.

-هل يُزاول مهنة أخرى؟

-أحياناً يعمل خبازاً في الفرن.

-إذن، الحالة المادية غير مستقرة.

-نعم.

سألها بريسكو:

-أنتِ ماذا تعملين؟

-ربة منزل.

-هل لديكِ أولاد غيره؟

-كان وحيداً.

-كم هو عمر ولدُكِ؟

- ثلاثُ سنوات.

أخذ المُحقق رشفة أخرى من القهوة، ثُم قام بِسؤال الأم:

-كيف اختفى ولدك؟ أي كيف حصل الحادث؟

أجابته الأم البائِسة:

-كان طفلي يومها قد بلل نفسه. فقد وضعته أمام الباب على استراحة الدرج، وعندها ذهبتُ إلى غُرفتي لأداء بعض الأعمال، لمدة لا تتجاوز عشر دقائق إلى خمس عشرة دقيقة كما أذكر، وفي الوقت الذي عُدتُ فيه إلى المكان نفسه الذي تركته فيه لم أعثر على طفلي، ولم أره كأنه اختفى من الوجود، أو كأنه فص ملح ذاب، ثُم دلفتُ إلى بقية الغُرف أتفقدها واحدة تلو الأخرى باحِثةً عن ابني المريض، وكانت ضُرتي جالِسة بِغُرفتها، واقتحمت ملهوفة النفس محروقة الفؤاد غرفة حماتي المريضة. كُنتُ أتركُ طفلي عندهاأحياناً، لم أجده هناك، ثُم خرجتُ إلى فِناء الدار. فرأيت الباب الرئيسي مفتوحاً على مصراعيه. فقد جاءت زوجةُ أبيه تضربُ نفسها وتولول بأعلى صوتها، وهي تبحث معنا عن طفلي الضائع. فقد عم الخبر وشاع بين الجميع. فهرع معظمنا كُل واحد بِجهة غير مُحددة، للبحث عن طفلي المفقود، ومشطنا الحي بِأكمله، ولم يبقَ شارع إلا وخُضنا فيه بحثاً عن ابني يوسف المريض. فهذا هو كُل شيء يتعلق باليوم الأول.

أفرغ المحامي بريسكو، بقية القهوة الباردة والمُترسبة في قاع الفنجان، في جوفه وقال:

-سؤال آخر، لأنني أخذتُ من وقتكِ كثيراً يا سيدتي.

-تفضل يا سيد بريسكو.

-كم كانت الساعة عندما تركتِ الولد ودلفتِ إلى غُرفتكِ؟

-نحو العاشرة والنصف صباحاً.

-وبِوقت العودة كم كانت الساعة؟

-كما قُلت في بِداية حديثي. لم أبقَ بالداخل حسب اعتقادي أكثر من عشر إلى خمس عشرة دقيقة فقط.

أكد المُحقق بريسكو:

-إذن ساعة الاختفاء هي الحادية عشرة إلا رُبعاً.

أجابت الأم واثقة:

-نعم. هذا ما كان الوقت عليه.

سأل المُحقق مُجدداً:

-هل لي من طلب يا سيدتي؟

-تفضل.

-أُريد مُقابلة زوجك غداً بِهذا التوقيت إذا كان مُمكِناً.

-مثلما تُريد.

-شكراً لكِ على حُسن الضيافة والاستماع.

-لا شكر على الواجب.

قبل المُغادرة انهمك المحامي بريسكو قليلاً بِفتح سحابة حقيبته، ووضع أوراقه التي سجل عليها نتيجة المُحادثة مع أم الطفل الحزينة على فقدان صغيرها المريض والعزيزُ على قلبها، وقبل أن يصل إلى باب المنزل الرئيسي. كان يسمع صوت سُعالٍ شديد يأتي من خلفهُ.

& & & & &

اليوم السادس

في المساء دار الحوار حول مُقابلة المُحقق بريسكو مع أم الولد الضائع، أما بالنسبة إلى المساعدين الآخرين فلم يُوفَّقا بالحصول على شيء يُذكر، فلم يتمكنا من تغطية جميع الأماكن التي زاراها في اليوم الثاني بِمُهمة البحث والتفتيش، إذ بقي عدد قليل منها، فكُلِّفَ السائق مهران عبده أن يتولى زيارتها، وفي صباح اليوم السادس قرروا أن يتولى المحقق المستقل بريسكو والمُساعد الأول عليش بلعون العمل معاً، وقبل وقت الظهيرة بِقليل عن موعد مُقابلة والد الطفل المُختفي أنزل سائق جيب الموهافي المُحقِقين أمام المنزل المنشود، ثُم أكمل السائق مشواره وحيداً حسب الاتفاق بحثاً عن الولد الضائع، وكان مجمل ما دار من أسئلة مع الأب كالتالي:

سأل المُحقق بريسكو:

-الاسم.

-لطفي أومباشي.

-العمر.

خمس وثلاثون سنة.

-المهنة؟

-سبّاك وأحياناً خباز في الفرن.

تدخل بلعون فسأل:

-هل لك أعداء؟

-لا.

-أيبغضُكَ أحدٌ ما؟

-لا، مُطلقاً.

فسأل المُحقق آدم بريسكو:

-أتشكُّ في أحد مُعين.

-لا.

ثُم أضاف الأب:

-لا أشك وليس لدي أعداء، ولنفترض ذلك؛ فلماذا سيأتون ويختطِفون طفلاً صغيراً من ذوي الاحتياجات الخاصة. وقد مضى إلى اليوم على فقدانه ستة أيام بالتمام.

-ألك أصدقاء مشبوهين؟

-لا.

-أتعتقد أن عِصابات التجارة بالأعضاء البشرية لها يد بِذلك؟

أجابه الأب:

-مستحيل. لم أسمع حتى الآن بشيء من هذا القبيل في المنطقة.

تدخل المساعد بلعون فسأله:

-سيدي يمكن أن يكون الولد خرج إلى الشارع. فضربته سيارة، ثُم قاموا بِأخذه معهم؟

-كانوا على الأقل اتصلوا بِنا.

- لا تُؤاخذني على هذا القول الجارح. فقد يكون مات بالطريق.

ردَّ عليه المُحقق بريسكو:

-نعم. هذا وارد.

أجابه بلعون:

-كل الاحتمالات واردة يا سيدي.

سأل المحقق بريسكو السيد أومباشي:

-هل جاء إليكم عناصر الأمن الجنائي؟

-نعم. يا بريسكو.

ثُم أضاف:

-لم يُقصِروا أبداً، وقالوا لنا إنهم بحثوا بالأماكن كلها، وفي حال عثورهم عليه، سيخبروننا بِذلك.

فسأله بريسكو مُجدداً:

-لو عُدنا غداً. بِغرض التفتيش، هل في إمكاننا فعلُ ذلك؟

أجابه لطفي أومباشي:

-على الرحب والسعة، والبيت بيتكم في أي وقت شئتم، ونحنُ بِخدمتِكم يا سيد بريسكو.

-من فضلك أعطيني رقمك.

-سجل الرقم.

وعند هذا الحد انتهيا من توجيه الأسئلة إلى والد الطفل المفقود، ثُم قام بِلم أوراقه المُبعثرة ووضعها في حقيبته، وانسحب المحقق المستقل مع مُساعده بلعون. للعمل في جهة أخرى.

& & & & &

اليوم السابع

في ليل اليوم السابع أصاب الأرق المُحقق بريسكو، فينام قطعة من الليل، ثُم ما يلبث أن يستيقظ على حلمٍ يتعلق بِرسم المُخطط الذي نقله من ذهنه إلى مجموعة أوراقه ليلة البارحة، ثُم يغطُّ في نومٍ عميق، وهكذا كان حال بريسكو حتى صباح اليوم السابع، وعندما ذهب إلى الحمام بدأ يتكشف له سر عظيم كان يتعلق باختفاء الطفل يوسف؛ فخرج من الحمام مُسرِعاً، وأصبح يفكر بصوتٍ عالٍ:

-لقد وجدتُها.

استيقظ بلعون المُجاور له بالسرير على صوته العالي، فسأله:

-ماذا وجدت؟

-الطفل.

-أين؟ ومتى؟

-أولا يجب أن نتحقق.

ثُم أضاف:

-قُم بإيقاظ عبده، وجهزوا أنفسكم حالاً.

جهزت مجموعة البحث والتفتيش نفسها منذُ الصباح الباكر، وأصبحت على أهبة الاستعداد لتنفيذ المُهمة، فقال بريسكو:

-أريد منك يا عبده أن تأتي لنا بِطائر ببغاء يتحدث أربعين لِساناً.

وأضاف أيضاً:

-وقفص جميل يليقُ به.

-حاضر.

-هل تكفي ساعة واحدة؟

-نعم.

-وهل أنتم باقون هنا؟

ردَّ عليه بلعون:

-أنزلنا عند دوار العامل سنكون هناك بانتظارك حين العودة.

انطلقت الموهافي بقيادة السائق الجريء مهران عبده، والذي كان يرى متعته كعضو في مجموعة التحقيق المستقلة بِتكلِفه بالمُهمات السريعة، وبِغضون أقل من ساعة واحدة عاد إليهم ومعه طائر الببغاء الملون داخِلَ قفصٍ جميل للغاية، ثُم انطلقوا جميعاً مُتوجهينَ إلى حي البُخلاء، ودخلوا إلى الشارع الشمالي لِمنزل الولد المفقود، وأمرهم بريسكو أن تقف السيارة أمام البناية حديثة العهد، ما زالت من غير أبواب، ظل السائق مهران بِداخل سيارته، بينما ترجل منها المُحقِقان بريسكو وبلعون، ثُم صعدا إلى الطابق الأعلى، ومن فوق السطح العالي، حيثُ عاينا البيتين العاديين والمتلاصقين، فلم يتبين لهما شيء من مكان رصدهما غيرَ مساحة فارغة من فناء الدارين، فقال بلعون:

-صيدٌ موفق.

أجابه بريسكو:

-لا. بل قُل صيدٌ خائب.

-ماذا سنفعل؟

-سنهبط إلى الأسفل من حيثُ أتينا.

-هيا بنا.

-هيا.

نزلا وركبا الجيب الحديثة، ثُم التفا إلى الشارع الثاني. فوقفت السيارة أمام باب البناية المُجاورة لبيت لطفي أومباشي، ولكن هذه البناية تسكنُها عائلات عديدة، وعليها بواب كبير السن، فقال المحامي بريسكو:

-أعطني القفص مع الطائر، واتبعاني الآن.

وقف ثلاثةُ رِجال أمام بواب البناية يتقدمهم رجُلٌ عريض الكتفين، وذو رأسٍ أصلع، وسيم الطلعة، فقالوا جميعاً:

-طاب نهارُك يا حاج.

بدا الحاجُ مُستغرِباً وفغر فاهه، ورد عليهم:

-طاب نهارُكُم.

ثُم أضاف البواب:

-ماذا تُريدون؟

أجابه بلعون:

-طارت زوجته على السطح.

-بسم الله.

-لِماذا تستغرب هكذا؟

-الزوجة تطير.

-إنه أمرٌ عادي يا حاج.

-هكذا بِكُل بساطة.

-نعم. بِكل بساطة.

-يا رب ثبت علينا العقل والدين.

تدخل السائق مهران عبده لإنقاذ الموقف، فقال:

-الطائر هو الذي طار، ويتكلم أربعين لِساناً.

ثُم أضاف:

-وإذا لم تُصدق جرب بِنفسك، إنه يتحدث بأكثر من لُغة، وسيقوم بالرد عليك بِنفس اللغة التي تُخاطبه.

-شيء عجيب.

وقد أفسح البواب المذهول الطريق أمام مجموعة التحقيق التي عدَّ أفرادها مجانين. وصعدوا جميعاً إلى السطح بِحجة البحث عن زوجة طائر الببغاء الهاربة، وعندما أصبحوا فوق سطح البناية من الجِهة الشرقية المُلاصق للبيت العادي الأول، حيثُ كان بيت الطفل يوسف المفقود، لم يجدوا شيئاً يُثير الريبة، وبعد أن مدَّ التحري بِبصره مُدقِقاً في البيت الثاني المُلاصق للبيت الأول وقعت عينه على ذلك

الشيء الغريب، فرأى جباً مرتفِعاً عن سطح الأرض، وكانت تُغطيها قطعة من الحديد السميك، فهمس التحري سريعاً لِمُساعديه وقال:

-تعالا. وانظرا إلى ذلك الشيء.

أجابه بلعون:

-أين؟

-في المنزل الثاني.

-الجب.

نعم.

سأله عبده بِدوره:

-على أي أساس تُقيم دليلك يا بريسكو.

-دعني أؤكد لكم في زيارتي الأولى للتحقيق مع أم الطفل الضائع ذكرت في معرض حديثها العابر عن زوجة الأب، يعني أن لها ضرة.

أجابه بلعون على الفور:

-مُلاحظة قيمة ودليل اتهامي قوي جداً.

فقال التحري:

-هيا انزِلوا. فقد انتهت مُهمتنا هنا، وقد أمسكنا بِطرف الخيط الآن.

وفي اليوم نفسه كانت مُهمة جماعة المُحققين، هي المُقابلة مع صاحب البيت الثاني العائد إلى عم الطفل المختفي، وكانت نتائج التحقيق معه كالتالي:

-سأله بريسكو:

-أأنت عم يوسف؟

-نعم.

تدخل بلعون مُقاطِعاً فسأله:

-الاسم؟

-حسان أومباشي.

- العمر؟

-ثلاثون.

-المهنة؟

-عامل.

-إذن أخوك لطفي أكبر منك؟

-نعم.

قاطعه المُحقق بريسكو قائلاً:

-ألم تلحظ خِلال الأيام الماضية عند اختفاء ابن أخيك حدثاً غير عادي حصل معكم؟

فكر حسان، ثُم أجاب:

-البارحة حصلت حالة تسمم عامة بِبيتنا وبيت أخي لُطفي، ومع بيت جيراننا.

وأضاف حسان:

-ولا نعرف السبب الذي أدى إلى ذلك.

سأله المُساعد عليش بلعون:

-هل من شيء آخر غيرُ هذا الحدث؟

-لا.

شكروا عم الطفل الضائع على تعاونه معهم في شأن إدلائه بِتلك المعلومة القيمة التي تفيد القضية، واستأذنوا بالانصراف عائدين بِوقتٍ مُتأخر إلى مقر عملهم المستأجر بِحانة الضفادع المموهة.

& & & & &

اليوم الثامن

في صباح يوم 24-1-2020اكتشفت الجثة. كانت الساعة تُشير إلى العاشرة، وكالعادة أتت ثلاثةُ كؤوس ممتلئة من البيرا المكسيكي، الشراب الحقيقي للمُحققين، وأثناء ذلك كانت أوراق التحقيقات مُبعثرةً أمامهم يتناقشون القرار الأخير الذي سيقومون باتخاذه في شأن نتيجة التحريات التي وصلوا إليها مع الأشخاص البارحة فكانت مُهمة للغاية بالنسبة إلى القضية بِرمتِها، والآن يجب عليهم أن يقوموا بِوضع اللمسات الأخيرة على القضية التي تعملُ عليها مجموعة التحقيق المستقلة فقال التحري بريسكو مُلخِصاً الأحداث:

-يا أصدقائي لقد توصلتُ إلى حقائق ملموسة ومؤكدة، أن هناك جباً بِمنزل عم الطفل الذي نبحثُ عنه، ولكنه ليس دليلاً قوياً على إن الطفل موجودٌ بِداخله، ولكن هذا افتراض قوي جداً من جانبنا، لأننا مشطنا المدينة والمدن المجاوِرة كُلها، ولم نعثر على الطفل

المفقود، وتم ذلك بِالموازاة مع الجهود المبذولة من عناصر الجريمة النشطين الذين كانوا يبحثون عنه في المناطق كُلها، وهناك شيء آخر يمكننا أن نُضيفهُ إلى جانب حِساباتنا، ألا وهو عدم وجود عِصابات الإتجار بالأعضاء البشرية بالمنطقة. فلم يحدث حالة اختطاف واحدة، فقُمنا باستبعاد هذه الفرضية، ولدينا دليل آخر على أن الطفل موجود داخل الجب، من خِلال الحديث ليلة أمس أثناء مُقابلتنا مع عم الطفل حسان، والذي أكد لنا حدوث حالة تسمم جماعية وبالتوقيت نفسه، ونتيجة مُعاينتنا تبين وجود ثلاث مضخات صغيرة لِسحب المياه كانت مُركبة على الجب. فهذا يؤكد لنا وبِشكل قاطع أن الطفل في الجب وهو المسؤول عن حالة التسمم الجماعية، وهناك شيء آخر أهم بِكثير، وهذا ما لا حظتُهُ عند التحقيق مع الأم، حيثُ ذكرت زوجة الأب.

فقال عليش بلعون:

-أحسنت يا بريسكو.

ردَّ عليه مهران عبده:

-أخيراً اتضح كُل شيء.

فقال المحقق بريسكو:

-لا تفرح كثيراً، فلم يتضح شيءٌ بعد يا مهران، كُلها افتراضات، وإذا ما وجدنا الطفل هناك غداً. فما زال أمامنا مُهمة أصعب، من هو الذي قتله، ورماه بالجب؟

فقال المساعد عبده:

-إنها جريمة في الجب.

ردَّ عليه المُحقق بريسكو:

-نعم إنها جريمة في الجب.

سأل المُساعد الأول بلعون:

-ماذا سنفعل الآن؟

أجابه التحري البارع المحامي آدم بريسكو:

-اسمعوا جيداً يا أصدقائي، يجب أن نضرب ضربتنا قبل أن يكتشِف ذلك عناصر الجريمة، وباعتقادي هم أيضاً قد وصلوا إلى هذه النتيجة.

أجابه بلعون:

-وأنا معك. إننا في بحثنا السابق في كل الأماكن التي كُنا نقومُ بِزيارتها كانوا يقولون: إن عناصر الأمن قد سبقوكم في ذلك، وهذا ما يؤكد لي أنهم قد وصلوا بِنتائج تحقيقاتهم إلى مراحل مُتقدِمة. فعلينا أن نُسرع للكشف عما لدينا من معلومات.

رد عليه المُساعد الثاني بالتحقيقات السائق عبده:

-أُخالِفكم الرأي.

تفاجأ بريسكو، وقال:

-تُخالفنا.

ثُم أضاف أيضاً:

-ماذا جرى؟

أجابه مهران:

-ليس قبل.

-قبل ماذا؟

فقال مهران:

-قبل شرب البيرا.

أجابه المُحقق بريسكو:

-أنت على حق لن يتم الإعلان قبل طلب البيرا.

ضحك بلعون بِصوت عال، قائلاً:

-لقد أصبح عبده مُدمِنا في منتصف الطريق كما كنتُ مُتوقِعاً.

وأضاف أيضاً:

-هيا اتصل يا بريسكو.

طلب المحامي المستقل آدم بريسكو رقم لُطفي أومباشي والد الطفل يوسف أومباشي، واتصل به، ثُم جاءه صوتٌ يقول:

-ألو، من معي؟

-معك التحري بريسكو.

-هل من خدمة أُسديها لك؟

-ألديكم جبٌ في المنزل؟

-بِبيتنا لا.

حلت فترة صمت.

فقال لُطفي:

-هناك واحد بِبيت أخي حسان المُلاصق لنا.

في هذه المسائل لا يمكن مُراعاة شعور الآخرين، لأن جم المصائب والحوادث المؤسِفة إذا وقعت فلا مفر منها، وبالتالي لا يُمكن إخفاؤها أو تأجيلها عن ذويهم الأحياء، وأخيراً تجرأ بريسكو فقال:

-اتصل مع عناصر الجريمة وأبلغهم أن يكشِفوا عن غِطاء الجب الموجود بِمنزل أخيك حسان.

انقطع الصوت والاتصال، فقد شعر المُحقق والمُحقِقين الآخرين بِذلك الانهيار الجامد الذي حصل مع ذلك الشخص. بِمُجرد وقوع الخبر المشؤوم عليه، وعندما أغلق الاتصال كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة قبل الظُهر. فحضرت قوة من عناصر الجريمة، يتبعهم حشدٌ كبير من الناس والجيران إلى منزل عم الطفل الضائع، وكان من بين هؤلاء المُحقق آدم بريسكو ومساعده الأول عليش بلعون والمُساعد الثاني مهران عبده، واقفين ينتظِرون الدقائق القادِمة بِفارغ الصبر. فهذه كانت واحدة من نتائج عملِهم الدؤوب في الأيام السابقة، وإذا وجِد جثةُ الطفل في الجب فسيكون هناك المزيد من العمل أمامهم بالأيام اللاحقة، وكان يقف قريباً من الجب ضابط طويل القامة أشعث الشعر معقوف الأنف يُدعى علي خلف، وبِجانبه رتبة أقل منه قصير القامة أفطس الأنف يُدعى علاء علي، وكان بِجانبهم ثلاثة عناصر من الأمن ذوو أجسامٍ ضخمة. فلاحظ

التحري بريسكو القريب من تلك الجماعة، إن واحِداً من العناصر تقدم نحو غطاء الحديد مفكوك البراغي. فقام العنصر الثاني وبيده مصباح كهربائي، وسلط حزمة الضوء الكثيفة إلى قعر الجب المظلم. فلمع جسماً صغيراً يطفو على سطح الماء الذي كان يلمع تحته؛ فأعلن على الفور:

-سيدي إن جثة الطفل تطفو على الماء.

فقال الضابط علي خلف المسؤول:

-هيا أخرِجوا الجثة.

ثُم أضاف:

-فليحضر الطبيب الشرعي حالاً ليفحص الجثة.

عندما لمح الضابط علاء علي المُحقق المستقل آدم بريسكو الأصلع بين الحشد المُتجمع حولهم قال همساً للضابط علي خلف:

-سيدي ذاك المُحقق المستقل آدم بريسكو. فقد كشف بتحرياته المُكثفة وبِجهود مُساعديه عن وجود الجثة هُنا.

أجابه الضابط الكبير علي خلف:

-لقد سبقنا اللعين، أرى أنه مُحقق بارع وذكي، وله مستقبل واعد في عالم الجريمة.

ثُم أضاف:

-عليك أن تتواصل معه من أجل العثور على القاتل في أربع وعشرين ساعة، لأنني متأكد من أنه سيسبقنا في ذلك.

-حاضر سيدي.

أعطى رئيس الدورية تعليماته ثُم غادر، وترك هناك في مسرح الجريمة مُساعده علاء علي يتولى المُهمة بدلاً منه، والذي تقدم بِدوره نحو المُحقق بريسكو ومُساعديه بابتسامةٍ عريضة، وقال:

-أشكرك يا سيد بريسكو وأشكر فريق عملك باسمي واسم رئيسي المُباشر على جهودِكُم المبذُولة في هذه القضية.

ردَّ عليه المحامي بريسكو بِكُل تواضع:

-أنا أيضاً باسمي واسم أصدقائي أشكرُكُم جميعاً.

-أرجو أن تُساعدنا، ونتبادل المعلومات فيما بيننا في سبيل اكتشاف القاتل.

أجابه المُحقق بريسكو:

-حاضر يا سيدي.

وأضاف:

-أمهلني أربعاً وعشرين ساعة وسأُكشف لك عن هوية القاتل.

-بِكُل سرور.

في الساعة الثامنة مساءً استلموا نسخة من تقرير الطبيب الشرعي. فبدأ المُحقق المستقل آدم بريسكو مع فريق عمله بِتحليل ما جاء به والذي ينص على ما يلي:

إن جثة الولد الصغير مضى عليها أربعة أيام فقط على وجودها داخل الجب، والآن نحنُ باليوم الثامن، وهذا يعني أن الأيام الأربعة الأخرى كانت الجثة في مكان آخر، والدليل على ذلك أن الجسد لم

يتحلل، ولم نُلاحظ إلا بعض السحجات والكدمات البسيطة على جلده. فإن مدة ثمانية أيام كانت كافية أن تتفسخ فيها الجثة، وإن السقوط جاء على الرأس، لأن الرأس قد شُج بِحجم نصف شبر اليد، وقد فُقِأ العين اليمنى لأنه وقع على جِهة جبهة الطرف اليُمنى.

سأل بلعون:

-أين يمكن أن يكون الولد خلال الأيام الأربعة، إذا ما سلمنا بِصدق تقرير الطبيب الشرعي.

أجابه مهران عبده:

-من الصعب وجود مكان آمن يمكن إخفاء طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة لِمدة أربعة أيام كاملة، وقد رأيتُم بحثنا المُتواصل عنه مع عناصر الجريمة.

ردَّ عليه المحامي بريسكو:

-أنا من جانبي لا أُصدق رواية تقرير الطبيب الشرعي، لأنه من الصعوبة كما قُلت إخفاء طفل بِهذا العمر وسط حي سكني مُكتظ

بالسكان، وأعتقد بأننا إذا ما أخذنا بِهذا الرأي فسوف نتخبط بالتحقيقات، وسنفقد رأس الخيط الأساسي الذي يدل على اكتِشاف القاتل، الذي ارتكب هذه الجريمة البشِعة.

أجابه بلعون:

-ما العمل؟

-العمل أن نضع فرضية خاصة بِنا ونعملُ عليها.

قال مهران عبده:

-ما الفرضية الخاصة بِنا؟

ردَّ المُحقق بريسكو:

-لِنفرض أن القاتل عندما رمى بالولد في الجب لم يفقد الولد حياته خلال اليومين الأولين، أو ربما أكثر من ذلك، وكان في إمكانه شرب الماء الذي ساعده بالبقاء على قيد الحياة، وبعدها قد يكون فارق الحياة نتيجة عدم وجود التغذية.

أجاب بلعون:

-هناك أسباب أخرى يمكن ذكرها، الجروح البليغة التي تعرض لها، وكذلك شعور الخوف قد يؤدي إلى فقدان الحياة.

فقال المُحامي بريسكو:

-هذا ما يؤكد فرضيتنا أن الجثة لم تتحلل بالشكل الكامل، حتى وقت خروجها، لأنها ظلت تُقاوم حتى فارقت الحياة خلال الأيام الأولى على الأقل. عكس فرضية تقرير الطبيب الشرعي الذي عاين جثة الطفل فور خروجها من الجب.

سأل المُساعد الثاني مهران عبده:

-ماذا تقترح يا مُحقق بريسكو؟

أجابه المحامي:

-دعونا نبدأ التحقيق من جانبنا.

ردَّ عليه بلعون المُساعد الأول بِفريق التحقيقات المستقل:

-الآن.

-نعم. الآن يجب أن نسبق عناصر الجريمة النشطين للكشف عن القاتل.

وأضاف أيضاً:

-لِنبدأ التحقيق مع الأم، لأنها باعتقادي مفتاح الوصول إلى حل لُغز الجريمة.

أجاب السائق عبده:

-هذا رأيِي أيضاً.

ردَّ عليه بلعون:

-أنا مُتفِقٌ معكم.

فقال المحقق آدم بريسكو:

-استعدوا للانطِلاق إلى هناك.

لقد كانت نتائج التحقيقات بِمساء اليوم الثامن مع الأم كالتالي:

بدأ المُحقق آدم بريسكو يواسي أم الطفل القتيل فقال:

-إننا كفريق عمل تأسفنا كثيراً لِقتل طفلكِ المريض بِهذا الشكل الفظيع، ونُعزيكِ على موته، ونرجو لكِ الصبر والسلوان على فقدانه.

أجابت الأم بِحزنٍ شديد:

-أنا من جانبي أشكركم خالص الشُّكر والامتنان في سبيل اكتشاف جثة ابني.

ثُم مسحت الأم دموعها.

سأل المُحقق بريسكو سؤالاً مُطولاً:

-أُريد أن أسألكِ سؤالاً قد سألتُكِ سابِقاً. عندما كان طفلُكِ جالِساً على عتبة الدار، وذهبتِ إلى غُرفتُكِ لأداء بعض الاعمال، وفي الوقت الذي عُدتِ إلى الولد فلم تجديه، واتجهتِ تبحثين بِجميع الغرف، ومن جملتها ذكرتِ غرفة ضرتُكِ. فكانت موجودة فيها، ثُم

بحثتْ معكِ عن ولدكِ ساعة الاختفاء المُفاجئ، هل هذا يعني أنكُم تسكنون تحت سقفٍ واحد؟

أجابت الأم:

-نعم. أنا والزوجة الأولى نسكنُ معاً.

-ماذا لديها من أولاد؟

-أربعة بنات.

-ما عمر الكبيرة؟

-ثلاثة عشر عاماً.

-والصغيرة؟

-ثمانية أعوام.

فعرف بريسكو أن فارق العمر بين الولد القتيل وشقيقاته البنات من الزوجة الأولى للأب كبيرٌ جداً. فاحتِمالات الشِجارات قليل فيما بينهم، ودوَّن التحري ذلك على مجموعة أوراق التحقيق.

سأل المُحقق بريسكو مُجدداً:

-ما نوع العلاقة بينكِ وبين ضرتُكِ؟

-يمكن القول إنها سيئة للغاية يا سيدي.

-متى ساءت العلاقة بينكما؟ وهل في إمكانكِ معرفة ذلك؟

-من أول يوم دخلتُ هذا البيت كزوجة ثانية.

وأضافت أم الولد القتيل:

-لقد ذهبت ضُرتي إلى بيت أهلها، وظلت هُناك مدة عامٍ ونصف، وكانت تُريد الطلاق، ولكنها بالنهاية تراجعت عن قرارها. فأتت إلى بيت الطاعة ثانيةً.

-هل كُنتِ تشكين بها في أيام الاختفاء؟

-قطعاً.

-والآن ما موقفُكِ منها؟

-أظن أنها القاتِلة.

فقال بريسكو:

-افهمُ منكِ أنها هي التي قتلت ابنُكَ الصغير؟

-لا شك في ذلك.

-لكن.

-لكن ماذا؟

وأضافت الأم:

-هيا قُل.

أجاب المُحقق:

-لا يمكننا يا سيدتي العزيزة اتهام الآخرين جُزافاً دون وجود دليل ضدهُم، وهل تملكين دليلاً ضدها؟

هزت الأم الحزينة بِرأسها وأجابت:

-حدسي.

-هذا ليس كافياً، بالنسبة للقضايا الجِنائية يا سيدتي.

ألقى المُحقق بريسكو سؤالاً آخر:

-كيف كانت مُعاملة زوجكِ لِكُل واحِدة منكُما؟

وأضاف:

-يُفضَل أن تذكري الحقيقة.

-هل تُريد الحقيقة؟

فقال بريسكو:

-هذا أفضل، ولِصالح القضية.

-حقيقةً كان يُفضلني عليها.

سأل المحامي المستقل:

-أفهم من ذلك أنه لم يكُن عادِلاً في مسألة المُعاملة.

-نعم. كان يُفرق فيما بيننا في كثير من المسائل التي لا يمكنني الإفصاح عنها أبداً.

-هذا واضح.

وأضاف بريسكو:

-سبحان الله، ولن تعدِلوا.

-صدقت يا سيد بريسكو.

أجاب بريسكو:

-هذا ما يزيد من كمية الكراهية والبغضاء لِتجعل الأجواء مُسممة دائِماً.

إن نوع المُهمة التي يقوم بِها التحري آدم بريسكو صعبةٌ للغاية، وكان منذُ بداية التحقيق يرى أن الخيوط أصبحت مُتشابكة جداً. فهاهي الأم تتهم زوجة الأب الأولى في بداية تحقيقاته الأولى لهذا اليوم.

واصل بريسكو بِمُساءلة الأم:

-ما علاقتُكِ بِسلفتِكِ، زوجة حسان، عمِّ طفلِكِ؟

-علاقتي معها طيبة جداً.

-دائِماً.

-يا سيد بريسكو أية علاقة مهما كانت قوية فإنها، أحياناً، تُعكر صفوَها بعضُ الأشياء التافِهة.

ردَ عليها المُحقق:

-أنتِ على حق يا سيدتي.

-كم عمرها؟

-خمسة وعشرون عاماً.

-ماذا لديها من أولاد؟

-ولد بِعمر سنتين.

وأضافت:

-طفلة حديثة الوِلادة لم تبلغ الأربعين يوماً.

-هل هُناك خِلافات بينها وبين زوجها؟

-لا.

-ويُحبها؟

-نعم.

فسأل بريسكو:

-وما شعوركِ نحوها؟

-أكنُ لها كُلَ الود.

-وهي تُبادلُكِ نفس الشعور؟

-لا أعلم.

فقال المُحقق المستقل:

-ما نوع زياراتها عندكم؟

أجابت الأم:

-بِحُكم صلة القرابة بين زوجينا، وتجاور بيوتنا، فإنها تقضي أغلب وقتها عندنا من الصباح وحتى المساء.

وأضافت:

-في المساء فقط تذهب لِتنام بِدارها.

انهمك المُحقق بريسكو بتسجيل ملاحظة أخرى على أوراقه كتب فيها يقول:

-احتكاك دائم بين أفراد أُسرتين يولد كمية هائِلة من المشاكل.

فقال بريسكو:

-بِوقت اختفاء طفلكِ هل كانت سلفتك موجودة؟

-لا أعلم.

وأضافت الأم:

-لأن حجم المُصيبة كانت كبيرة، كادت تُفقدني صوابي.

-ما طبيعة العلاقة بين المرأتين؟

-يمكن اعتبارها علاقة ممتازة.

وأضافت مُتنهدة:

-وكنتُ أراهُما مُنسجِمتين يتبادلان الحديث بِود.

فسأل بريسكو:

-هل تغارين منهما؟

-نوعاً ما فالغيرة من طبيعة النِساء يا سيد بريسكو.

- أتفِقُ معكِ بالرأي.

ألقى المُحقق سؤالاً آخر:

-هل تشكين في أمرها؟

-لا.

سأل المُحقق:

-يا سيدتي، كُل هذه المدة، ألم تنتبِهوا إلى وجود طفلكُم في جب بيت عمه؟

أجابت الأم بِآهة:

-آه. كلا لم نفطن، لأننا كُنا نعرِفُ جيداً أن الجب كان له غطاء مُحكم الإغلاق، وكان عمه حسان أحكم تلك القطعة الحديدية بالبراغي. فيعني أن ولدي ما كان في إمكانه أن يقوم بِفتح غِطاء الجب لِصغر سنه.

وأضافت أيضاً:

-والشيء الثاني لم يكُن باستطاعة طفلي أن يحمل كأساً فارِغاً، لأن أعصابه مرتخية جداً، حتى لا يمكنه المشي إلا بِصعوبة، لأننا أجرينا له عملية قبل عشرة أيام من اختفائه. فقد كلفنا مبلغاً باهِظاً من المال، أي لا يستطيع تسلق الجب العالي عن مستوى الأرض.

سأل المُحقق ماطاً شفته السفلى:

-أين كان عمه حسان بِيوم الاختفاء؟

-لم يكُن موجوداً بالبيت.

وأضافت الأم مُتنهِدة:

-كان دائِماً يقولُ لي أتمنى أن يموت هذا الولد أفضل من أن يعيش، لأنه سيبقى مُعاقاً إلى الأبد.

-يعني أنكِ تشكين به؟

-لا أقولُ ذلك.

-إذن بِماذا تُفسرين هذا الاتِهام الموجه إليه؟

-لأننا نحنُ الاثنين كُنا على خِلافٍ دائم.

-وما هو سبب الخِلاف بينكُما يا سيدتي؟

-كُنتُ الزوجة الثانية لأخيه لُطفي.

-أفهم من ذلك، أن هناك مشاكل عائلية بينكم.

-نعم.

بِنهاية التحقيق مع الأم وضع المُحقق آدم بريسكو اسمين ضمن دوائر الاشتِباه، وهما الزوجة الأولى، وعم الطفل حسان. فتم

الانتِقال في المساء نفسه إلى بيت عم الطفل حسان أومباشي، وجرى المُقابلة معه وأخذ أقواله وكان نتيجة التحقيق معه كالتالي:

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام.

-كيف حالك؟

-بِخير.

فقام المُحقق بِسؤاله:

-هل تتذكر يا سيدي لِقائي المُقتضب معك قبل الآن بيوم واحد؟

-نعم. المحامي آدم بريسكو.

وأضاف:

-هل في إمكاني توجيه بعض الأسئلة إليك؟

-بالتأكيد.

وأضاف أيضاً:

-تفضل يا سيد بريسكو.

فسأل التحري بريسكو على الفور:

-كم عمر الجب؟

-تقريباً بِعمري.

-افهم منك أن والدك هو الذي قام بِحفره.

-نعم. والدي قام بِذلك.

- ومن الذي قام بِوضع قطعة الحديد على فتحة الجب وأحكمها؟

-أنا وأخي لُطفي قُمنا بِذلك العمل.

-وقُمتم بعدها بتثبيت أربعة براغي عليها نمرة ثمانية ملم.

وأضاف المُحقق:

-طبعاً كان الغرض للتأمين من أجل ألا يقع فيه الأولاد، وها هو طفلُ أخيك يوسف وقع في الجب.

-نعم.

فسأل المُحقق آدم بريسكو:

-قد تسأل نفسك يا سيد حسان.

-اسألُ نفسي ماذا؟

-من الذي فك البراغي؟

قبل أن يجيب لاحظ المحامي بريسكو نوعاً من الارتباك وشبه غصة في حلق عم الطفل القتيل.

فأجاب حسان:

-لا أعلم.

-كيف لا تعلم والجبُ في دارك؟

-ها.

جدد المُحقق السؤال، وكان هذه المرة اتِهاماً مُباشراً فقال:

-اعذرني يا سيد حسان على هذا الاتِهام.

وأضاف المُحقق:

-ولكن من غيرك يمكنه أن يقوم بِذلك؟

ساد فترة من الصمت بين الطرفين.

أجاب حسان:

-لستُ أنا. فهُناك أخي لُطفي أيضاً.

-تتهم أخاك لُطفي بِقتل طفله.

-نعم.

-وما دليلك على ذلك؟

-دليلي.

-نعم. دليلك أو حُجتك يا سيد حسان.

وأضاف المُحقق:

-بِدون الحجة والدليل لا يمكن أن نوجه الاتِهام إلى الآخرين.

ردَّ عليه حسان خائِفاً:

-كان يقول إن الولد لن يتعافى من مرضه، وإنه غير قادر على مُعالجته مادياً، وذلك بِسبب حالة الفقر التي يمرُ بِها، وبالنهاية سيموت وسأخسر مالي أيضاً.

وأضاف العم المذعور كي يُلصق التهمة به:

-فموته أفضل من العيش.

جدد المُحقق السؤال باتجاه آخر فقال:

-أين كُنتَ ساعة اختِفاء طفل أخيك لُطفي؟

-في العمل.

-هل في إمكانك إثباتُ ذلك؟

-يمكنك أن تسأل رب العمل الذي أعمل لديه؟

-أين تعمل؟

-بِمعمل الأجبان والألبان.

انتهى من توجيه الأسئلة، وبعدها وضع المُحقق اسماً آخر ضمن دائِرة المشتبهين، وهو والد الطفل القتيل لُطفي أومباشي.

عندما وصل فريق المُحققين المستقل إلى حانة الضفادع المُموهة بِزاوية دوار المطار. كانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة والنصف مساءً، وكانوا مُنهكين جراء العمل الذي قاموا به منذ الصباح، ولكن قبل أن يستقروا على إحدى الطاوِلات المكسورة. فقد طلبوا من الساقي المُصاب بالمرض السكري، أن يمدهم بِصندوق كامل من البيرا على شرط أن يُجهزها على الطريقة المكسيكية أمام الطاولة التي يجلسون عليها، وقد شرعوا بِوضع أوراق إفادات التحقيقات التي أجروها معهم بِهذا اليوم، وبدأوا يتناقشون بإسهاب وتفصيل حول مقتل الطفل. فقال المُساعد الأول بلعون لأصدقائه:

-لن ننام حتى نكشف هوية القاتل.

تدخل المُساعد الثاني عبده:

-لاتكُن مُتفائِلاً يا صديقي، حتى نرى ما ستسفر عنه تحقيقات صديقنا المُحقق بريسكو.

أجابهم بريسكو:

-دعنا نتجرع البيرا أولاً.

وأضاف:

-ما زال أمامنا الكثير من الوقت حتى شروق الشمس.

وقف سائق جيب الموهافي على قدميه قائلاً:

-ألا تُريدون أن نستمع إلى مجموعة من الأغاني الطربية.

أجاب بلعون:

-أُفضِّل أن تكون هادئة.

-سمعاً وطاعةً مولاي.

وأضاف مهران عبده:

-طلبك على الرأس والعين.

نظر التحري آدم بريسكو المحامي المستقيل من نِقابة المُحامين إلى مجموعة أوراقه، ثُم قام بِسؤال عليش بلعون:

-ماذا بِشأن حسان عم الطفل؟

-كما أمرتني ذهبتُ إلى رب عمله.

-هل كان موجوداً هُناك يوم 16-1-2020؟

-نعم.

-متى كان هناك؟

-كان حاضِراً على رأس عمله عند الساعة الثامنة صباحاً.

-وأين كان من الساعة العاشرة والنصف حتى الساعة الحادية عشرة إلا ربع؟

فأجاب بلعون:

-تأكيداً لِهذا لم أثق بِكلام رب العمل، فتوجهتُ إلى مجموعة أصدقائه العمال بِمعمل الأجبان والألبان. فأكدوا بِشكلٍ قاطع، أن حسان لم يتحرك من هُنا، إلا لِفترات قصيرة، من أجل قضاء حاجة ما.

فقال المُحقق:

-وهذا يعني أننا يجب أن نُسقط التُهمة عنه، وأن نُبعد عم الطفل حسان من دائِرة الاشتِباه بِهم.

علق عليه المُساعد الثاني مهران عبده:

-بِكُل تأكيد يا سيدي.

وأضاف:

-وليس لديه الدافع ليقوم بِذلك.

فقام المُحقق آدم وسأل السائق عبده:

-وأنت ماذا لديك بِشأن الأب لُطفي؟

أجابه عبده:

-لقد كان موجوداً في عمله.

وأضاف عبده:

-أغلب العمال أكدوا لي، إنه لم يُغادر من الساعة العاشرة حتى الساعة الحادية عشرة.

فتدخل المُساعد الأول عليش بلعون قائلاً:

-هذا ما يؤكد استبعاده من دائِرة الاشتِباه.

وأضاف أيضاً:

-أعتقِدُ مهما كانت حالته المالية مُتدهورة فهذا لا يدفعه إلى أن يقتل ابنه الوحيد بِهذه الطريقة البشِعة.

ردَّ عليه المحامي بريسكو:

-نعم. هذا أفضل ردٍّ يا بلعون.

وأضاف بريسكو:

-وهذا يؤكد لنا شيئاً مهماً جداً.

سأل مهران عبده:

-ما الشيء المهم يا سيدي المُحقق؟

-ألا تعرف.

قال عليش:

-لا. لا نعرف.

وأضاف:

-اشرح لنا من فضلك.

بعد لحظة من الصمت كان بريسكو يغمضُ عينيه، ويفكر بِعمق، وقال:

-إن طابع الجريمة نِسائي بحت.

تدخل عليش على الفور، فقال:

-حتماً إنك عرفت القاتل يا بريسكو.

قاطعه عبده وسأل بريسكو بِلهفة:

-من هو؟

أجاب عليهِ عليش:

-الزوجة الأولى هي القاتِلة.

رد عليه المُحقق آدم بريسكو على الفور:

-كُن حليماً، ولا تستعجل بالحُكم.

-لماذا يا سيد بريسكو؟

أجابه التحري بِثِقة:

-ألم تكُن الضُرة بِغرفتها ساعة ما كانت الأم تُفتش عن ابنها بِذلك التوقيت.

وأضاف:

-وهذا يُضعف من حدة اتِهامنا لها.

-هذا صحيح.

وأضاف بلعون:

-ما العمل الآن؟

أجابه المحامي المستقيل من نِقابة المُحامين:

-جبهتي تؤلمني كثيراً.

وأضاف أيضاً:

-لقد فقدنا رأس الخيط، ولا أعلم ماذا أفعل؟

فتدخل السائق مهران عبده وحثهم:

-سيد بريسكو، هل تُريد البيرا ليهدأ رأسك، وتفكر بِشكلٍ صحيح؟

رد عليه المحامي:

-ولكنني أرى أن الوقت مُتأخر، والساقي نائم في هذا التوقيت.

أجابه بلعون:

-لا تخف من هذه الناحية يا سيد بريسكو.

وأضاف بلعون أيضاً:

-سأُوفر لكم البيرا.

وقبل أن يتحرك عليش بلعون من مكانه بادره التحري بريسكو بالحديث فقال:

-إذا كان صندوقاً فهذا أفضل.

والناس كُلهم نائِمون، وحتى الساقي، إلا هُم كانوا منهمكين بالعمل.

& & & & &

اليوم التاسع

أشرقت شمسُ صباح يوم التاسع عليهم وما زالت الجلسة قائمة على قدمٍ وساق، واستفاق الساقي على ثمان وأربعين علبة بيرا فارِغة بين أرجل الطاولة وأقدام جماعة التحقيق بقيادة المحامي آدم بريسكو العاطل عن العمل وصديقيه، فقال المُحقق بريسكو:

-الآن أستطيع أن أُفكر بِشكل أفضل.

سأله المُساعد الأول عليش بلعون:

-كيف؟

أجابه التحري بريسكو:

-لقد كان عملنا منهجياً بِتحديد مكان كُل شخص من العائِلة، بِصفة مُشتبه به ساعة اختِفاء الطفل من العاشِرة والنصف حتى الحادية عشرة إلا ربعاً حسب ما زودتنا به الأم من معلومات بِهذا الشأن.

وأضاف المحامي المستقل بريسكو:

-وبِهذه النتيجة توصلنا إلى حقائق ملموسة بِشأن كُل شخص.

ردَ عليه المُساعد الثاني مهران عبده:

- وبعد؟

أجابه المُحقق:

-إذا كانت الضُّرة في البيت ساعة اختفاء الطفل، وهي الرقم واحد في دائرة الاتهام، وإذا كان العم حسان وقت الاختِفاء في مكان عمله حسب اعتِرافات صاحب العمل والأصدقاء كما أكد لنا الزميل عليش بلعون، فهذا الشخص تم استبعاده أيضاً من بين الذين وجِّهت أصابع الاتِهام إليهم، أما الأب فكان يعمل كخباز بِذلك اليوم، وتم استبعاده من دائرة الاتِهام الموجهة إليه من قِبل أخيه حسان، فهذا سيسهل برأيي مُهمتنا في الكشف عن مرتكب الجريمة.

وأضاف التحري المستقل أيضاً:

-إذن يبقى هُناك...

وتوقف فجأة.

فسأله على الفور السائق عبده:

-يبقى هُناك مَن...؟

التفت المُحقق آدم بريسكو إلى مُساعده عليش بلعون فقال:

-يبقى هُناك شخص رابع كان يتحرك بِحرية، وليس حوله أية شبُهات من ناحية الجميع.

وأضاف التحري:

-فلنبحث عنه.

سأله بلعون:

-وماذا نستفيد؟

أجابه المُحقق بريسكو:

-إذا حددنا هويته، سنعرف القاتل في الحال.

ردَّ عليه سائق الموهافي مُتلهِفاً:

-ما السبيل إلى ذلك؟

-لدي طريقة.

-ما هي؟

قال آدم بريسكو مؤكِداً:

-لن أكشف عنها حتى يُحين الموعد المُناسب.

وأضاف:

- فهل أنتما جاهِزان للانطلاق؟

أجاب المُساعِدان:

-نحنُ جاهِزان.

-هيا فلننطلق يا أصدقائي.

انطلقت جيب الموهافي التي كانت تقف أمام حانة الضفادع المُموهة، بقيادة السائق الماهر مهران عبده، وبِجانبه المُحقق المستقل آدم بريسكو، أما في الكرسي الخلفي كان يجلس المُساعد الأول عليش بلعون مُتربِعاً كملك حديث تُوِّجَ على عرشه، وبِسرعة لفت دوار التمثال العامل، ثُم واصلوا طريق الذهاب والإياب باتجاه الشرق، الطريق الذي كان يذهب إلى السوق العام، وعند إحدى المحلات إلى يمين الطريق أمرهم المُحقق آدم بريسكو أن ينزل معه عليش بلعون، لأداء مهمة على يسار الطريق، على أن يبقى السائق عبده بِداخل الجيب، واتجهوا إلى إحدى المحلات لِتصليح الدراجات الهوائية، والتي زارها التحري بريسكو سابِقاً في الأيام الماضية عند بحثه عن الطفل المُختفي، وما أن دلفوا إلى المحل حتى وجدوا أمامهم رَجُلاً في الأربعين من العُمر اختطَّ الشيب أطراف شعره، وكان نحيفاً جداً، وما أن رآهُم حتى رفع رأسِ نحوهم؛ فبادره في الحال المحقق بريسكو بِقوله:

-كيف حالك يا سيدي؟

-بِخير.

وأضاف المُصلِّح:

-هل من خدمة يا سادة؟

أجابه المُحقق:

-نعم. نُريدُكَ بِخدمة إن لم تُمانع.

أجابه مُصلِّح الدراجات الهوائية بِقلقٍ وتوتر:

-هل لديكُم دراجة بِحاجة للتصليح؟

ردَّ عليه بلعون:

-ها هي الموهافي بِحاجة للتصليح.

فقال المُصلح مُرتبِكاً:

-سيدي هل تمزح، أنا مُصلِّح درجات هوائية.

وأضاف المُصلِّح:

-لستُ مُصلِّحاً للسيارات الحديثة.

تدخل بريسكو سريعاً فقال:

-لقد جئنا من أجل شيء آخر.

تفاجئ صاحب المحل وظل صامِتاً.

فقال له المحقق بريسكو:

-ألا تدعونا للجلوس.

كان هناك بعض الكراسي الصغيرة فاستعاد الرجُل وعيه وقال:

-اجلسوا يا سادة.

وأضاف المُصلِّح:

-ما طلبكم؟

فقال المُحقق بريسكو:

-تذكر يا سيدي. هل جاءك أحد الأشخاص، وأعرت إليه مفتاحاً قبل تسعة أيام أو أكثر بِقليل؟

-عن أي مفتاح تتحدث يا سيد.

وأضاف المُصلِّح:

-لا أعرف شيئاً عن مفاتيح السيارة.

لقد عرفوا أن الرجل كان مُرتبِكاً. فمهما حاولوا الالتِفاف حوله، لن يحصلوا على معلومة بسيطة منه تفيد التحقيق. فالأفضل لهُم أن يبدأ التحري بريسكو بِتشغيل خلايا عقله، للتعامل مع المُصلح الجبان فقال بريسكو:

- يا سيدي لقد حدثت عمليةُ اختِطاف قُتل فيها طفلٌ صغير بالقُرب من محلك، وتم اكتِشافه بِجب بيت عمه، ألم تسمع به؟

-أجابه المُصلح مُرتعِشاً:

-وما ذنبي؟

- ذ نبُك.

-نعم ذنبي.

فقال المُحقق.

-لا تخف يا سيدي.

وأضاف أيضاً:

-لا شيء يدينك.

تدخل المُساعد بلعون قائِلاً:

-لقد رصدنا جائِزة بألف دولار نقداً لِمن يُدلي بِمعلومة حتى ولو كانت صغيرة.

هُنا تنبه مُصلح الدراجات الهوائية كأنه وخز بِشوكة حادة.

-جائِزة.

ردَّ عليه بريسكو قائلاً:

-ألم تسمع. نعم. جائزة نقدية وفي إمكانك استلامها فوراً في حال كان عندك أي شيء بِخصوص ذلك.

-اسأل كما تشاء. فلا مانِع لدي يا سيدي.

وأضاف:

-هل في الإمكان معرِفة الاسم من فضلك؟

-أنا المُحقق الشهير آدم بريسكو، وأنا أعمل على حل هذه القضية.

وأضاف أيضاً:

-وهذا مُساعدي الأول عليش بلعون بالتحقيقات والمُمول لها، وأؤكد أننا جماعة مستقلة، وليس لنا علاقة بِجماعة الأمن.

-أهلاً بِكُم يا سيدي مهما كانت هويتكم. فإني أرى أن غرضكم شريف يهدفُ إلى عمل الخير.

وأضاف المُصلح أيضاً:

-فأنا في خدمتِكُم دائماً، هيا اسأل؟

فسأل المحقق بريسكو مُبتسِماً:

-في صباح يوم 16-1- 2020 جاء إليك شخص، وطلب منكَ مفتاحاً؟

ثُم مد يده إلى جيبه وأخرج بُرغي بِقياس 8 ملم، ووضعه بِراحة يد مُصلِّح الدراجات، والذي رفعه إلى مستوى عينه ونظر إليه مُتعجِباً.

فسأل التحري العبقري أمام دهشته:

-ألم يطلب منك مفتاحاً لِفكها؟

أجابه المُصلح المذهول:

-نعم. يا سيد بريسكو، كان مفتاح نمرة 13 اس.

ثُم أضاف:

-ولدي صورة أخذتها بِموبايلي خلسةً عندما سلمتُ لها المفتاح بِذلك اليوم.

تدخل بلعون الذي كان يستمع أثناء ذلك فقال:

-هل أنت جاهز لِتُدلي بِشهادتُك أمام قاضي المحكمة؟

-نعم. طالما ذلك يُخدم القضية.

-هل يمكنك أن تعطينا المفتاح كدليل على ارتِكاب الجريمة؟

-تفضل هذا هو.

-شُكراً لك.

أخرج بلعون حافِظة نقوده المُتخمة بالدولارات، وأعطى مُصلح الدراجات الهوائية ألف دولار عداً ونقداً ثمن كشفه عن معلومات قيمة تفيد في حسم القضية وكشف القاتل، ثُم قاما بِمُصافحته وشكراه على إعطائِهم مفتاح نمرة 13 اس مع صورة إلكترونية للشخص الذي أخذه دليل الإدانة الدامِغة ضده، وعندما

دلف المُحقِقان إلى السيارة التي كانت تنتظرهم على جانب الطريق، سألهم السائق مهران عبده مُتلِهفاً:

-ممتلئ.

أجابه بلعون مبتسِماً:

-ممتلئ على الآخر.

ثُم قام بِرفع المفتاح عالياً في وجهه فقال:

-الدليل والصورة والشاهد الوحيد.

ردَّ عليه التحري بريسكو:

-كُنتُ واثِقاً إنه سيبيع أمه وأهل حي البُخلاء جميعاً.

وأضاف أيضاً:

-عندما عرض عليه بلعون جائِزة بِقيمة ألف دولار نقداً.

فقال السائق مهران عبده:

-أنا أعترف بأن بلعون كان مُعلِماً مُحترِفاً بِتلك اللحظة.

أجابه التحري بريسكو:

-بل قُل أصبح مُحقِقاً من الدرجة الأولى.

ثُم أمرهم بريسكو بالتحرك إلى مكان وقوع الجريمة، وقبل ذلك مروا على مُصور قريب وطلبوا منه أن ينسخ لهم نسخة ورقية من الصورة الفوتوغرافية للاستماع إلى اعترافات القاتل ومعهم الأدلة المفتاح والصورة والشاهد الوحيد بِهذه القضية.

عندما قابل المُحقق آدم بريسكو ومُساعديه من بعد الظهر زوجة الأب الأولى، بِوجود الأدلة والشاهد، امتقع لونها، وأصبحت شاحِبة بِلون الشمع. فقام المُحقق المستقل آدم بريسكو بِتوجيه أول سؤال لها:

-هل سبق لكِ ارتِكاب جريمة مُماثِلة في الماضي؟

-لا.

-يعني أنها أول جريمة؟

-لستُ أنا.

سأل التحري بريسكو مُجدداً:

-ما الدافع الذي ارتِكبت من أجله هذه الجريمة؟

-الغيرة.

وأضافت الضرة:

-أنت تعرف إنها تُعمي القلب والبصر.

فأجابها المُحقق:

-وتدفع إلى القتل.

-نعم.

فسأل بريسكو مُجدداً:

-هل يمكنك إثبات براءتكِ من الجريمة؟

ضحكت زوجة الأب الأولى المُتهمة بِقتل الطفل وأجابت:

-لا تُراوغ أيها المحقق بريسكو. فأنا أعرفك إنك ثعلب ماكر، وفي جَعبتك تلك الأدلة.

فسأل المُحقق مرة أخرى:

-هل كان لديكِ خِلافات أو مشاكل مع الضحية؟

صححت المرأة السؤال وأجابت:

-كانت المشاكل والخِلافات مع أم الضحية.

-هذا صحيح.

-أين كُنتِ ساعة ارتِكاب الجريمة؟

-في البيت.

-ماذا كُنتِ تفعلين وقت اختِفاء الطفل؟

-لقد خرجتُ من غُرفتي فرأيتُ الطفل جالِساً على عتبة الدار وحيداً، وكانت أمه تُرتب غُرفتها.

-وبعد ذلك ماذا فعلتِ؟

-راقبتُ الشارع لِخلوه من المارة، ووجود الجيران.

فقال المُحقق:

-ثُم قفلتِ راجِعة إلى غُرفتُكِ أليس كذلك؟

-نعم.

فقال بريسكو:

سؤال آخر؟

-اسأل.

-أين كانت سلفتك زوجة حسان صباح ذلك اليوم؟

-ذهبت إلى مُصلح الدراجات الهوائية.

وأضافت المرأة:

- وها هي صورتها معكَ وهي تحمل المفتاح.

فقال المحامي آدم بريسكو:

-سؤال أخير؟

-تفضل.

-هل يمكنك تقديم وصف لِما حدث؟

-نعم.

-تفضلي إذن.

فقالت الزوجة الأولى في اعتِرافها:

-بعد أن عادت سلفتي الغيورة بالمفتاح، وحلحلت البراغي، ثُم أزاحت الغِطاء عن فتحة الجب مستغلة الفرصة لعدم وجود الرِّجال بالبيت، وأقنعت الأولاد بأن يذهبوا إلى بيت الجيران. فقد أشارت إليَّ من فوق الجِدار، وطلبت مني أن آتيها بالطفل المريض، وكما قلت كانت أمه تعملُ بِغرفتها بذلك التوقيت من العاشِرة والنصف إلى الحادية عشرة إلا ربعاً. فحملتُ الطفل الجالس على عتبة الدار بين يدي، ثُم راقبتُ الشارع بالاتجاهين المُعاكِسين. فسلمتُ الطفل لِزوجة عمه حسان جارنا المُلاصق بالدار، والتي فتحت باب دارها، واستلمت الطفل المخطوف، ثُم قامت بِرميه في الجب، وأعادت الغِطاء دون تثبيت البراغي ثانيةً، وبعد عملية الاستلام والتسليم رجعتُ إلى غُرفتي، وكأن شيئاً لم يحدث، ولم يرني أحد، وبعد مُضي خمس عشرة دقيقة بالضبط، طبعاً كنتُ أُراقب الساعة

عندها، سمعتُ أم الطفل تصرخ وتصيح، وهذا الشيء كُنتُ مُتأكِدة أنه سيحصل، لأن ابنها اختفى، وأنها لن تجِده حياً مرةً أخرى، فخرجتُ على صوتها من غُرفتي المُقابِلة لِغُرفتها مُسرِعةً، وبدأت أضرب نفسي وأستغيث وأبحث معهم عن الولد الضائع.

فسأل المُحقق آدم بريسكو:

-أفهمُ من ذلك أنتُما الاثنتان تعاونتما في عملية القتل، أنتِ بالخطف وسلفتُكِ قامت بِرميه في الجب؟

-سلفتي هي السبب وهي القاتلة.

-ولكنكِ شاركتِ معها.

-نعم.

-ما دافعها؟

-كما قُلتُ سابِقاً الغيرة.

وبِنهاية المُقابلة مع زوجة الأب دوت صفارات السيارات الأمنية. فدخل عليهم الضابط علي خلف مع الضابط المُرافق الأصغر

منه رتبة وهو علاء علي، وكان يُرافقهم مجموعة من عناصر الأمن. فقبضوا على المرأتين القاتِلتين، ثُم انفرد الضابط الكبير بالمحامي العاطل عن العمل آدم بريسكو فقال له:

-لقد بذلت جهوداً جبارة أنت وفريقُك.

ثُم أضاف علي خلف:

-شكراً لكم لأنكم أوصلتمونا إلى القتلة الذين ارتكبوا هذه الجريمة البشِعة.

ردَّ عليه المُحقق المستقل:

-وأنا أيضاً باسمي واسم اصدقائي المُحققين أشكر عناصر الجريمة الذين تفانوا في عملهم وبذلوا جُهداً فوق طاقتهم.

ثُم تقدم المُحقق بريسكو باتجاه ضابط الأمن الكبير وسلمه ملف التحقيقات مع الأدلة واسم الشاهد الوحيد مُصلِّح الدراجات الهوائية للإدلاء بِشهادته في القضية، وانسحب كُل فريق من مكان وقوع الجريمة، وبعد أن تم القبض على المرأتين بِفضل فريق التحقيق

المستقل، وبعد مُضي خمسة عشر يوماً من إلقاء القبض على القتلة عرف المُساعد الأول عليش بلعون الذي كان له بعض الاتِصالات مع ضابط الأمن الجِنائي وبعض المُحامين، أن القاضي حكم على المرأتين المتهِمتين بِرمي الطفل في الجب بالحُكم المؤبد. وبِهذا أُسدل السِّتار على هذه الجريمة.

& & & & &

النهاية

يجب ألا نُطلق العِنان لِمخزون الحُقد والكراهية المدفون في مقبرة نفوسِنا، ونوجهها إلى صدور الأطفال الصِّغار انتِقاماً منهم بِسبب أعمال ذويهم الكِبار، فهم لا ذنب لهم في ارتكاب الخطايا والآثام، وبِذلك نقتلُ برعم البراءة بِكل معانيها السامية، فنصِلُ بِعملنا إلى الدرك الأسفل أي إلى أكثر درجات الحيوانية انحِطاطاً وسفالةً.

فلنعُد بالزمن قليلاً إلى الوراء، ونتذكر جميعنا الشعور بالألم الذي أحسسنا به جميعاً، تجاه الطفل الفلسطيني محمد الدرة وهو يحتمي بِظهر والده والطلقاتُ تنهال عليهما كزخات المطر، وصرخاتُ الاستِغاثة لم تنقطع من فيه الصغير لِتصل إلى عِنان السماء حتى ارتقى شهيداً بالنهاية مُضرجاً بِدمائه الطاهرة.

ولنعُد أيضاً بِذاكرتنا الجمعية إلى الخلف فنتذكر الطفل الكردي إيلان الذي غرق في بحر إيجة هرباً من ويلات الحرب التي عصفت بِبلده، فلفظته أمواج البحر الغادِرة على تلك الرِمال التي

مهدت نفسها كوِسادةٍ من الحرير ينام عليها قرير العين، وروحه الملاك كانت تطير في أرجاء السماء الشاسعة بحثاً عن ملاذٍ آمن بعد أن فقد أمان الأرض. ويجب أن نرجع بِعقارب الساعة إلى الخلف، ونتذكر الطفل المغربي ريان الذي وقع في جبٍ مفتوح الغِطاء، فتمت مُحاولات مستميتة ليلاً ونهاراً ولِعدة أيام متواصلة من أجل إخراجه حياً لكن القدر أخذ روحه الطاهرة، فأصبح رمزاً للتضامن الوطني والتعاطف العالمي.

وأخيراً فلنتذكر قصة النبي يوسف بن يعقوب وأخوته الذين ألقوه في الجب بالخلاء بِسبب الغيرة والحُقد والكراهية، ثُم نجا بِأمرٍ من الله، وأصبح نبياً وملِكاً من بعدها. فقد ساعد عائِلته وقومه، وانتشلهم من جوعٍ وضلالٍ أكيد. فلو حافظنا على حياة الأطفال الصِغار فيمكن أن تستفيد أمم العالم جميعها من أعمالِهم في المستقبل. كما أفاد النبي يوسف قومه وأهله قبل ذلك.

تمت 20/ 4/ 2024

جنكو صالح تمو

المحتويات

مقدِّمة..7
اليوم الأول 9
اليوم الثاني..23
اليوم الثالث...55
اليوم الرابع 62
اليوم الخامس.......................................76
اليوم السادس.......................................90
اليوم السابع 95
اليوم الثامن 105
اليوم التاسع 145
النهاية...166

رواية (جريمة في الجب) أولى حلقات سلسلة روايات بوليسية، ستصدر تباعا،

بطلها المحقق آدم بريسكو.

هذه الرواية خيالية واقعية في آن معاً، فهي خيالية إذ نسج الكاتب أحداثها وبنى شخصياتها من بنات أفكاره،

ومستودع خياله. أما واقعيتها فتأتي كونها رواية يمكن أن تحدث في أي زمان أو مكان.

ومن الناحية الفنية فقد برع الكاتب في الدمج بين المساحتين الخيالية والواقعي،

فالأماكن والمدن والأحياء واقعية وهي من البيئة التي عاش فيها الكاتب نفسه.

أما الشخصيات فهي خيالية وقد اختار لبعض شخصيات الرواية أسماء غريبة عن بيئته وعن الأسماء المتعارف عليها